

هَذَا نَبِيَّكَ يَا وَلَدِي

وَأَسْمَاءُ
عَلَى
صَلَّى اللَّهُ

محمود محمد غريب

امام وخطيب جامع البنية ببغداد
والموجه الديني لشباب جامعة القاهرة
والحائز على كأس الازهر للخطابه ١٩٦٦

توزيع
دار الأنصار

٨١ البستان ناصية شارع الجمهورية
عابدين - ت ٩٦٣٤٠٥٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وسلام على النبي
المصطفى :

أما بعد :

فهذه السطور ليست كتاباً في السيرة النبوية الشريفة ،
لأن مكتبة السيرة غنية ببهارها الزاخرة عن الندي .

ولسكنها دراسة في العقيدة الاسلامية تكمل الرسالة السابقة

« هذه عقيدتك يا ولدي ،

والتي تقيها القراء قبولاً حسناً ، والحمد لله .

وقد حاولت - في هذه الرسالة - تحليل بعض الأحداث
بمقدار ما يثبت العقيدة ، ويدفع عنها أباطيل الطاعنين وشبهات
الخاصين على نبي الاسلام وعلى دعوته .

إن العطاء الكبير - الذي قدمه نبي الاسلام ﷺ -



دور النبي

لا حدود له .

// جاء الحياة فأعطى ... وجاهد ... وأنفق .

// جعل غرم الدعوة عليه وعلى آل بيته وعلى المقربين من صحابته

// وجعل غم الدعوة تركة مشاعة بين الناس .

// أنفق مال السيدة خديجة على الدعوة ،

// وأنفق مال عثمان بن عفان — صهره — على الدعوة .

// فلما شرعت الزكاة حرمها على نفسه وعلى آل بيته .

// وجعل من نفسه وأهله ميداناً لتطبيق ما يصعب على الناس

قبوله من أحكام الشريعة — فقد زوج زينب بنت جحش —

ابنة عمته — لزيد بن حارثة — العبد الذي قبلناه — وما كان

في العرب أسرة تقبل مثل هذا الزواج . ولما طلقها زيد تزوجها

النبي — وهذا أمر في الشريعة أصعب على النفس — لأنها

مطلقة متبناه (١) .

(١) كان العرب يحرمون على الرجل أن يتزوج مطلقة

ابنه من التهنى — فلما ألغى الاسلام مسألة التهنى أجرى التجربة

الصعبة على النبي أولاً .

وقد حرصت على عمق الفكرة ، وسهولة العرض ، وقوة
البرهان ، وأمانة النقل .

واقه أسأل أن ينفع بها وأن يجعلها في صحيفة عملي يوم
اللقاء . لأنه نعم المعطى ونعم المجيب .

محمود غريب

بغداد الكرخ - جامع ومعهد البنية

كتبت المقدمة في الروضة الشريفة

أمام قبر النبي ﷺ

الفصل الأول

حاجة العالم إلى الرسل .

إخفاق العقل البشري في محاولة إدراك ما وراء الطبيعة .

رسول الله تحول الأخلاق إلى سلوك عملي ، وتبليغ
شريعة الله .

إرسال الرسل يقطع حجة العباد على الله .

اللقاء الأول

عاد وائل إلى بيت الشيخ عارف بعد غيبة طويلة فضاها في شمال العراق حيث جمال الطبيعة ، وبرودة الجو ، وعذوبة الماء .

عاش هناك بين أقوام عكست الطبيعة الجميلة نفسها عليهم ، فاستقام سلوكهم ، وصفت سرائرهم .

ودار الحديث في شوق بين الأستاذ وتلميذه ، وتذاكرا حلو الماضي ، وجمال الأيام .

* * *

وائل : حدثني كثيراً يا فضيلة الشيخ عن الإيمان — ان بالله — من الناحية العقلية — .

وقلت لي : إن الإيمان بالله مسألة فطرية .

ولكن السؤال الذي يشغلني : لماذا أرسل الله الرسل ؟ لماذا

فرض الله علينا اتباع الانبياء، مع أن الإسلام يحترم عقولنا؟
الشيخ : يا وائل : إرسال الرسل نعمة عظيمة من الله .

لقد أرسلهم الله ليبلغوا الناس ما يصعب على العقل البشري
أن يصل إليه .

فالعقل البشري يا وائل مهيم . لدراسة المادة ، وعمار
الأراض . وهذا بجماله .

فإذا حاول أن يخترق السكون ليدرك ما وراء المادة فقد
عرض نفسه للخطر .

العقل البشري — يا وائل — كراكب سفينة ، من حقه
أن يسير في داخلها كما يريد . . . ولكن إذا عزم على الخروج
من السفينة إلى الماء فقد عوض نفسه للهلاك .

وائل : لكن بعض الناس يجيد السباحة .

الشيخ : البحر أكبر منهم .

فنم الذين يجيدون السباحة يا وائل ؟

هل تعمق الفلاسفة ؟

وائل : نعم . . . لأنهم أصحاب عقول كبيرة ، ويمكنهم أن
يدرسوا ما وراء البحار .

أعني بحار المغيبات ، ويمكنهم أن يصلوا إلى
الحقيقة وحدهم .

الشيخ : هؤلاء الفلاسفة . . .

فإذا يفعل بقية الناس ؟

طبعاً ليس كل الناس فلاسفة . . . يا وائل . . .
وائل : بقية الناس يتبعون الفلاسفة .

شيخ : أردت أن تفر من الاتباع . . . فوقعت في الاتباع .
ولسكنك تركت طريقاً معبداً آمناً ، وهو طريق الوحى .

وعزمت على السير في صحراء واسعة . .

ماؤها صرايب ، وأمانها خوف .

يا وائل .

المراب لا يروى الظمان .

وائل : تعنى أن انتاج الفلاسفة العقلى مراب
الشيخ : فيما وراء الطبيعة كل فلسفة عقلية مراب .

التجربة تقول هذا ...

هل سمعت عن أرسطو ؟

وائل : قرأت عنه ... وقرأت له .

لأنه المعلم الاول .. وهو الذى وضع علم المنطق - الذى
يعصم الذهن من الخطأ فى الفكر - وقد أتوصل أرسطو
إلى الإيمان بالله عن طريق العقل ..

الشيخ : كل هذا صحيح .

ولكن أرسطو عندما أراد أن يخترق بعقله ما وراء
الطبيعة هوى منهجه ، وتهاافت ففكره .

أقد آمن بالله إيماناً رياضياً ، ليصل بهذا الإيمان إلى
تفسير عقلى للحركة الميكانيكية فى الكون .

فالإيمان بالله أشبه ما يكون بالمعطيات الهندسية - التى
يعطيها المدرس للتلاميذ ليتوصلوا بها إلى حل تمرين هندسى

فهو يفترض وجود الله ليحل بهذا الفرع من الفرع الحركي
الميكانيكية في الكون .

ولم يثبت وجود الله لإثباتاً برهانياً .

وائل : قلهم أنه توصل للحقيقة بطريق أو بآخر .
الشيخ : لا يا وائل . .

لم يصل أرسطو إلى الحقيقة .

لأنه تصور أن العالم قديم - لم يكن معدوماً ثم وجد -
وتصور أن الله لم يخلق العالم ، ولم يحرك فيه ساكناً .

وائل : في قصوره كيف وجد العالم ؟ وكيف تحرك ؟

الشيخ : يعتقد أرسطو أن الكون كان في حالة خمول ، ثم
رغب في الحركة فتحرك وحده . . .

وائل : « متعجباً »

هذه فلسفة أرسطو ؟ !

الكون قديم ١ - والله لم يخلق العالم ؟ . . . ولم يحرك
ساكنه ؟

الشيخ : نعم يا وائل . . .

هذه فلسفة المعلم الأول .

يتصور أن الله كال مطلق ، والعمل - في قصوره - طالب
لحدوث شيء ، والله غنى عن الخلق .

وأرسطو يعتقد أن الله - كما أنه لم يخلق شيئاً - فهو
أيضاً لا إرادة له .

لأن الإرادة - في قصوره - اختيار أمر من أمرين ، والله
غنى عن الأمرين .

أرسطو يتصور أن الله يعيش سعيداً بذمة بقائه فقط ،

لا علم له بالكون ، ولا سلطان له عليه .

وائل : أرسطو ١١٩

الشيخ : إنه بشر . . . وعقل البشر مهين . لدراسة المادة فقط
لأن فيها حياته .

هياقرة اليونان - يا وائل - آمنوا بألهة متعددة - وهم
أرقى الشعوب حضارة فكرية -

إله للنخير ، وإله للشر ، وإله المطر ، و . . . و . . .

حق الخمر . . جعلوا لها إلهاً .

وكانوا يحتفلون بولادة إله الخمر عند ظهور العنب ،

وهيقيمون المآتم عندما ينتهي موسم للعنب .

وكانوا يعتقدون أن أكثرهم طاعة لإله الخمر هو أكثرهم

إدماناً لشرب الخمر .

هذه حقيقة العقل البشري ، وهذا إنتاج الفلسفة في عصر

الحضارة اليونانية .

فكيف بعصور الظلام ؟

يدخل هشام ولد الشيخ عارف بطبق فيه عنب .

فيضحكون جميعاً ، وينشفلون بالطعام .

اللقاء الثاني

وائل : كنت أعتقد أن العقل البشرى هو كل شيء .
عارف : كل من في سنك يرى عقله وعلمه .
فإذا تقدم به السن يدرك الحقيقة، فيتضاءل أمامه اليوم
ما رآه عظيما بالأمس .

العلم كالبحر ، من نزل في أوله يتصور أنه يمكنه أن
يمر به بأمان ، ولكن كلما بعد عن الشاطئ يدرك ضعفه
ويشعر بعمق البحر .
والدنيا بحاجة إلى قوة الشباب ، وحكمة الفيوخ .
وهناك أسباب أخرى لإرسال الرسل .

وائل : لا أظنك تبخل علينا يا فضيلة الشيخ .
عارف : هل تصلح الدنيا بلا أخلاق ؟
وائل : لا

فالأخلاق أمان المجتمع ، ثمارها حب ، وغايتها سعادة .

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هموا ذهب أخلاقهم ذهبوا

عارف الأنبياء وحدهم هم الذين يستطيعون وضع قانون
أخلاقي كامل . ويعملون على تحويله إلى سلوك .

فدور الأنبياء لا يقف على تعليم الناس قضية الحلال
والحرام ولكنه يتعدى هذا الأمر إلى أمر أجل - وهو
تحويل الأخلاق من فكرة نظرية إلى سلوك عملي .

ولولا الأنبياء لأصبحت الأخلاق مجرد شعارات جوفاء
وأناشيد تردد في الصباح والمساء .

لقد كان النبي ﷺ - قرآناً - يمشى بين الناس .
كان يهدي بفعله كما يهدي بقوله . حتى كان فعله نموذجاً
حياً للإسلام ، وكان فعله تصديقاً لقوله ، لأن الانفصال
الذي يقع بين الفعل والقول يبطل الدعوة إلى الخير ،
وينذهب أثرها .

الإسلام - يا وائل - لا يعرف الأخلاق النظرية ولا يقبل
انفصال الكلمة عن الفعل . قال تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون » ؟
كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون »

وكان النبي يقدر هذا ويعلم أنه أسوة للمسلمين ، ويعلم أن
أفعاله حجة وأنه منظور إليه لذلك كان يتجنب مواطن
الشبهة .

فقد مرَّ عليه رجلان وهو يتحدث مع زوجته السيدة
صفية في المسجد ليلاً ، فأسرعا ..
فقال لها النبي : على رسلكما .. لأنها صفية زوجتي .

ثم قال : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم .
عظمت أن يقذف في قلبكما شيئاً .

رواه البخاري

* * *

كان للهِ بِي يحول الاخلاق إلى سلوك عملي ، ويضع القدوة للناس .

كان رحيمًا بأمتة ليعلمهم الرحمة ، فقد كان يشعر بألمها ، ويشق عليه ما يشق عليها .

و لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، فعتبتهم يشق عليه .
آخر التوبة

وكان يدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يفرض على أمتة . أو خشية أن يقلده الناس فيصدق ذلك عليهم . بل كان ينههم عن بعض الاعمال التي يعملها هو - كصوم الوصال (١) رحمة بهم .

وقد استطاع - ﷺ - أن يحول قاموس الاخلاق إلى مجتمع أخلاقي ، فاقت واقعيتها مثالية الفلاسفة .

(١) صوم الوصال - هو أن يواصل الصوم أكثر من يوم بدون إفطار - وكان النبي يصومه . ونهى أمتة عنه وقال لهم : أبديت يطعمني ربي ويسقيني .

واثل : لكن الضمير الأخلاقي منهج سليم ، وهو فطرى فى النفس ، فهل يكفى لتقويم السلوك ؟

عارف : الضمير الأخلاقى ، والدعوة إلى الأكتفاء به ، فكرة ابتدعها علماء الغرب لتعمل مكان الدين فى نفوس الشباب بعد أن ثارت أوروبا على الكنيسة ، وأحاطوا سلطانها من النفوس .

وهذا لا يمنع أن الإسلام عرف هذا النداء الداخلى فى الإنسان منذ عهد الوحى ، وسماه القرآن « النفس اللوامة » وأقسم بها الله - سبحانه - تكريماً .

ولكن الضمير الأخلاقى لا يعنى أبداً الاستغناء عن دعوة الرسل - عليهم السلام -

لأن الضمير - يا واثل - يتأثر بالبيئة التى يتربى فيها .

ولون الثقافة التى يجمعها الإنسان .

وللمذهب الاقتصادى والاجتماعى الذى ينتمى إليه .

فالرجل المسلم كم يشعر بالسمادة عندما يقسم تركه ميت
حسب الشريعة الإسلامية .

يعطى كل مصاب بالميت ما يعزیه ويسد بعض
حاجته .

بينما يتألم الرجل الشيوعى عندما يرى تقسيم التركة ،
لأنه لا يؤمن بالميراث ، ويراه تفتيتاً للتركة . (١)

فالضمير يختلف باختلاف المذهب الاقتصادى والاجتماعى
كما يختلف بالعقيدة التى يؤمن بها صاحبه .

والرجل للمسلم يذوب من الأسى عندما يتذكر يوماً
انحرف فيه وشرب كأساً من الخمر ...

بينما لا يتحرك ضمير رجل الغرب لو شرب خمر
الدنيا كلها .

(١) الإسلام عندما يفقت تركه الميت على الورثة فإنه يدفع
كل وارث للعمل ليعيد تكوين تركه تسد فراغه ،
فهى دعوة للعمل والإنتاج .

فالضمير لا يكفي لوضع منهج أخلاقي ثابت ، لأن
الضمير لشكله باللون الذي نراح له .
فبمقدار حاجة الدنيا إلى الأخلاق تتجلى حاجتها
لدعوة الوصل .



والناس - يائيل - بحاجة إلى شريعة الله ، كحاجتهم
إلى رزقه .

لأن النفس الإنسانية متعددة الملكات ، متععبة
الغرائز ولا يستطيع البشر أن يضع لها تشريعاً يشبع
كل ملكاتها . فقدار حاجة الناس إلى قانون ثابت
يحكمهم ، ويشبع كل جوانبهم النفسية ، نراهم بحاجة إلى
شريعة الله .

وتجاوب التشريعات الأرضية تثبت أن التشريع
الذي يصلح لليوم لا يصلح للغد .

لأن المشرع - من الناس - يعلم ماضى ولا يعلم المستقبل .
فكيف يضع تشريعاً لحل مشا كل الغد - وهو لا علم له بها ؟

كما أنه يضع القانون للجماعة التي تحيط به فقط ، لأن
ما يصلح لرجل الشرق لا يصلح لرجل الغرب ، وهذا
يتناقض مع إقامة مجتمع عالمي يعيش في سلام .

ولا يفوتني أن أذكر لك فارقاً آخر ، وهو أن التشريع
لأرضي يوضع لحكم الناس فقط .
أما شريعة الله فتهدف إلى تربية النفوس وتساميها ،
مع دورها في حكمهم وتأديبهم .

فالمسلم لا يهرق ولو آمن من قطع اليد . لأن الشريعة
مزجت بين المحرمات وبين الخوف من الله . مزجت
بين قطع اليد وبين النكاح من الله .

قال تعالى : والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما
كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . ٣٨٠ المائدة ،
فلو نهما من القطع فلن ينجوا من النكال .

والمقارنة بنهر الشريعة والقانون تعني المقارنة بين حارس
مسلح ، وبين نصب يضعه الفلاح في الحقل على صورة
رجل لتخافه الطيور فلا تسقط على الحب .

فالناس بحاجة إلى شريعة الله بمقدار حاجتهم إلى شريعة
عالمية المساحة ، خالدة الثبوت ، حية المبدأ ، مؤدية
وحاكمة .

وآل : كنا نعتقد أن العقل البشرى كل شيء . . . وكنا نتصور
أن الشريعة جاءت لفترة ثم انتهت أكلها واستغنى الناس
عنها .. فما أحوجننا إلى منهج السماء .

* * *

عارف : هناك سبب رابع لإرسال الرسل :

وهو تطبيق عدل الله ورحمته بالناس .
إن الله لا يسوى بين الطائع والمعاصي ولا بين أهل الخير
والأشرار .

ولو حاسب الناس في محكمة العدل المطلق - من غير أن
يرسل إليهم رسلا لكان للناس حق الاعتراض .

وكان من حقهم أن يقولوا : ربنا لو لا أرسلت إلينا
رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونغزى ، ١٣١ طه

وائل : هذا صحيح ... فلا جريمة بلا نص .

طارف : من أجل ذلك أرسل الله الرسل ليقطع حجج الناس .
« رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل »
١٦٥ النساء

وائل : لا حجة لنا على الله .

فالرسل شهود علينا ، وكتاب الله بيننا ، ومع ذلك فأنه
قد أحترم عقولنا ، لأن الرسل لم تحرم شيئاً يقول العقل
لأنه حلال ، ولم تحل شيئاً يقول العقل لأنه حرام .

آمنت أن تقليد الأنبياء عصمة من الضلال ، ومنهجهم
سلامة من الزيغ . وأستودعك الله على أمل اللقاء .

الفصل الثاني

حاجة العالم الإسلامي في القرن السادس الميلادي

الفرس : الهدى في غير معابدهم .

الروم : تروّعت النصرانية . ولم يتنصر الرومان .

اليهود : حملوا التوراة ثم لم يحملوها .

العرب : حاجتهم للرسالة تعدل حاجة العالم كله .

في صباح يوم من أيام الربيع جلس الشيخ هارث بعد صلاة الصبح يقرأ بعض آيات القرآن . بينما اشتغلت « ساجدة » زوجته بأعداد الطعام .

وطرق الباب طارق من الجزيرة ، تناولوا جميعاً ، ودار حلو الكلام .

• • •

الشيخ : كيف حال الناس في الجزيرة يا شيخ سرحان ؟
سرحان : الحمد لله . نزل الغيث من بعدما قنطوا ، ونشر الله رحمته .

الشيخ : هذه سنة الله في السكون .
المطر يأتي بعد الظما ، والنصر بعد العسر ، والفرج بعد الكرب . . .

كل هذه نماذج للرحمة الخاصة . .
أما الرحمة العامة — التي أشرق نورها بعد طول الظلام فهو محمد — ﷺ —

لقد عاش العالم قرونا طويلة يبحث عن النور .

قالدارس للتاريخ - ياشيخ سرحان - يرى أن القرن
السادس الميلادي ومطلع القرن السابع كان الظلام قد
وصل فيهما إلى كل بقعة في الأرض - وضعف نور
الاديان السماوية فلم تستطع أن تهب الناس هديا
على الطريق .

سرحان : الفرس كانت تعبد النار ، واستولى رهبانها على أرواق
الناس عما جعل هقلاء الشباب يخرج منها ويبحث عن
الهدى في غير معابدها كسلبان الفارسي - رضى الله عنه .

سرحان : فاذا عن الروم ياشيخ عارف ؟

عارف : الروم دخلت الديانة النصرانية وهي محملة بأوزار
الوثنية ، وعقائدها الفاسدة ، والاثناء القذر لو وضعنا
فيه حلييا يفسد الحلييب ، فاستطاعت الروم أن تروم
النصرانية ، ولم تستطع النصرانية أن تنهر الروم .

ولو درست مجتمع (نيقية) الذي عقد في عام ٣٢٥ لمعالجة

الخلافات التي ظهرت في الديانة النصرانية بسبب دخول
 طوائف وثنية من الرومان واليونان والمصريين فيها .
 وقد ناقش هذا المجمع قضية ألوهية السيد المسيح ، وبعد
 صراع طويل يمكن أن تقرأه في كتب تاريخ الرومان .
 استطاع المجمع أن يتخذ أول قرار بالوهية المسيح بعد أن
 كانت المسيحية ديانة توحيد لمدة ٣٢٥ سنة .

* * *

وفي عام ٣٨١ اتخذ القوار الثاني بالوهية روح القدس في
 المجمع القسطنطيني وأصبحت الآلهة ثلاثاً بعد أن كان المسيح
 يدعو إلى التوحيد الخالص .

فالديانة النصرانية الجديدة لم يصبح لديها من القدرة
 ما تفي به الناس الطريق .

راجع محاضرات في النصرانية لأستاذنا الكبير (محمد
 أبو زهرة) ص ١٣٩ ، ص ١٥١ .

اليهود :

حملوا التوراة ... ثم لم يحملوها .

كافوا بتوصيل التوراة إلى الناس فاطفأوا مصابيح
قلوبهم ، لماذا يمكن أن يقدموا للناس ؟

حرفوا من دينهم ما لا يتفق مع مصالحهم الوضيعة .
وشوهوا صورة أصحاب الرسائل — من الأنبياء
الكرام — ليبتلوا جانب الأسوة والمثل الأعلى .

كاجعلوا البيع مثل الربا وفرو رجال الدين من معايذهم
ليهربوا في الركب المأوى بعد أن فلتت القيادة من
أيديهم .

ولم يبق لهم من دين الله إلا شعارات كاذبة استباحوا بها
دماء الناس وأموالهم .

فاليهودية أيضاً عجوت عن مد العالم بشماع من نور الله .

• • •

سرحان : والعرب يا شيخ طارف ؟
لمذا لم تتكلم عنهم ؟

طارف : العرب حجبهم عن الهدى السماوى البعد السحيق بين
ابراهيم - عليه السلام - وبين محمد ^{صلى الله عليه وسلم} - والذي يقدر
بآلاف السنين .

سرحان : لكن سلسلة من الانبياء بشرا فى وسط هذه المدة
موسى وداود وسليمان ونيسى وغيرهم .

طارف : هؤلاء جهيماً بعثوا لبنى اسرائيل فقط .
فدعوتهم خاصة بأقوامهم .

وإذا قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونى وقد تعملون
أنى رسول الله إليكم ،
هـ الصف

فرسالة موسى لقومه فقط - وكذلك رسالة المسيح :
وإذا قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل إني رسول الله
إليكم ،
٦ الصف

أما العرب فقال عنهم القرآن : « لتنذروا قوماً ما أتاكم

من نذير من قبلك » ٤٦ القصص

لتنذر قوماً ما أنذر آبائهم فهم غافلون ، ٦ ياسين

لقد كانت الأمة العربية أسوأ العالم حالاً ، وأحوج له إلى رسول .

لقد عبدوا الخجور ، وأكلوا القذر ، وسفكوا الدماء ،
ووأدوا البنات ، واهب الخمر بعقوبتهم ، واستعبدوا
الأحرار ، وأكلوا القمار ، واستباحوا الربا ، فماذا
بقي لهم ؟

يا شيخ سرحان : لقد كان العالم كله بحاجة إلى نبي يخلصه
من الضلال ، وينقذه من الهاوية .

وكانت حاجة الأمة العربية وحدها كانت تعدل حاجة
العالم كله . في الفاحية الدينية :

سجد الإنسان للصنم - الذي صنعه بيده ، وطلب منه
جلب الخير ودفع الضر ، مع أن الأبواب إن يسأل آلهتهم
شيئاً لا يستنقذوه منه . ضعف الطالب والمطلوب .

سرحان : وأين ما ورثوه من دين إبراهيم ؟

طارف : لم يبق منه سوى بعض الشعائر - لأن خلعت من الروح
وأفسدتها البدع .

وحسبك أن تعلم أن الحج تحول إلى تعظيم الأصنام ،
وإن الطواف بالبيت كان يتم وهم عرايا .

الشباب عرايا ، والنساء عاريات ، وتحولت التلبية إلى
تصفيق وتصفيق وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء
وتصدية . .

٣٥ - الأنفال

كيف تصفو الروح في جو من التصفيق والخر والنساء للعاريات ؟

* * *

والجانب الاقتصادي لا يقل سوءاً عن الجانب الديني .

لقد جاور العرب اليهود فقتلوا منهم الربا . وبالغوا فيه
فأكلوه أضعافاً مضاعفة حتى كان المدين يباع مع أته حر وذلك
من أجل سداد دينه .

ونشأ عن سوء الأحوال الاقتصادية عملية الإغارة على الأمنين
وسلب أموالهم ، واستعباد ضعفائهم .

وفي جو الرعب والقلق تنشر الخمر القاسا للسكينة، ولكنها
علاج للداء بالداء . فقد قلبت موازين الأمور وهوت المحشاء
على النفوس فشهرت تجارة الجسد .

روى أن جماعة سقوا امرأة خمرأ فذا لعبت الخمر برأسها
سألتهم : أشرب نساؤكم من هذا الشراب ؟

قالوا : نعم .

قالت المرأة : والله إن أحدهم لا يدرى من أبوه . إن الخمر
تحسن القبيح . . . وتقبح الحسن .

قال أبو النوامي :

اسقني صرفا حيا أترك الشيخ صبيا

وتريه الغي رشدا وتريه الرشدا غيا

فساد العقيدة دفعهم إلى الربا .

ومهموم الربا دفعتهم إلى الخمر .

وإدمان الخمر جر عليهم الباقي من البلاء .

لذلك كان كل شيء يؤكد الحاجة إلى نبي جديد .

الفصل الثالث

- العالم بحاجة إلى نبي .
- الكتب المقدسة وتبشيرها بهذا النبي .
- أخلاق محمد — ﷺ — ترشده لأمر عظيم .
- السيدة خديجة استدلت بأخلاق النبي على نبوته .
- هرقل : لو كنت عنده لغسلت عن قدميه .

هشام : كنت استمع إلى القرآن الكريم ووقفت عند قوله
 تعالى للنبى - ﷺ - وإذك لعلى خلق عظيم .
 لماذا لم يقل القرآن : إن خلقك لعظيم .
 الأب : كلمة (على) تفيد الاستعلاء والتمكن .
 فكان النبى تمسك من الاخلاق كما يتمكن الفارس من
 الفرس .

وهو يحكمها بفطرته ، بينما الاخلاق تحكم غيره من الناس
 لان النبى تبدأ كمالاته النفسية من حيث ينتهى قانون الاخلاق .
 هشام : تعنى - يا أبى - أن النبى يوجه الاخلاق إلى حيث
 يريد ؟

الأب : أجل يا هشام .

لقد ابتدأ النبى رحلته الاخلاقية من حيث انتهت المكارم
 الإنسانية ، وذلك ليتمم مكارم الاخلاق :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق »

هشام : لكننى أعلم أن كل نبى على خلق عظيم .

فكيف يتم النبي مكارم الأخلاق ؟

الآب : لقد عشت مدة طويلة لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال ، حتى فتح الله علي بفهم الموضوع أشرحه لك .

* * *

اتسيد المسيح - عليه السلام - عاجل قضية الأخلاق وأهم بها . ورسم منهاها لتهديب أتباعه فقال لهم :

أحبوا أعداءكم . وباركوا لأعدائكم ؛ وأحسنوا إلى مبغضتكم وصلوا للأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم .

إنجيل متى / ٤٤/٥

وقال : وإذا ضربك رجل على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر .

وهذه الوصايا خلق عظيم ، ولكنها أخلاق مثالية وليست أخلاقاً واقعية . . . لأن كثيراً من الناس لا يقوى على تنفيذها هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ليس كل الناس بدرجة واحدة من السموات جعلهم يستحقون ويرقدعون لو أدرنا لهم الخلد الأيسر . هناك بعض النفوس لو أكرمتها ملكتها .

وإن عفوت عنها كان عفوك عن خطيئهم أشد عليهم من السياط

ولكن هناك بعض النفوس إن أكرمتها فسدت ، وإن
عذرت عنها طمعت فيك ، وإن رفعتهم إلى السماء سدوا باب
السماء عنك ، وهذا الصنف الخفير لا يصلحه أن تنير له الخد
تنير كما قال السيد المسيح ، بل يصلحه أن يؤديه .

يحكي في الأدب الرمزي — أن رجلاً اشترى صنماً وعذف
على عبادته ، وترك تجارتهم وزراعته .

فلما أصابه الفقر ، وضائق به الحياة ، قام على الصنم فدق
رأسه وهشما .

فلما كسر رأس الصنم وجد به كزاً من الذهب أودعه فيه أحد
س ثم مات .

فقال الرجل للصنم :

ما ألامك .. أكرمتك فأفترقني ، وحطمتك فأغبتني ؟
نظرات الخفير من النفوس لا يصلح معها ، ولا يصلحها
نون المثالية .

ولكن يصلح معها بل ويصلحها قانون العدل .

يصلح معها قوله تعالى : وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به . وإن صبرتم هو خير للمصابرين ، ١٢٦ النحل

وقوله تعالى : ولن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ، ٤١ الشورى

فالإسلام جعل القصاص من الظالم - بالطريقة المشروعة - لون من الأخلاق ، مع عدم إعماله الترغيب في العفو .
فن عرفنا أن العفو يصلح نفسه ويهذبها فالعفو عنه أفضل .
ومن عرفنا صفات وجهه ، وقبح مسيرته - من الذين يفهمون أن العفو عنهم ضعف أو خوف منهم - فالعدل معهم أفضل ، وربما يزجرهم القصاص .

✖ فالإسلام حول الأخلاق من مثالية فلسفية ، إلى واقعية عملية لتشمل كل الناس ، وتعالج ضغاف النفوس .
وهذا معنى كون النبي - ﷺ - بعث ليعم مكارم الأخلاق فقد وسع ديارها ، وعمم عطاءها .
يا هشام . . هذه الآية الكريمة ، وإليك اعلى خلف عظيم »

تعتبر أصلاً كريماً من أصول الدين .

إنها تؤكد صدق نبوة محمد - ﷺ -

إنها ليست مجرد امتداح لأخلاق النبي . .

ولكنها نزلت في الأيام الأولى من الوحي لتسوق دليلاً عقلياً على نبوة محمد ﷺ .

بل لعل هذه الآية هي أول دليل سباقه القرآن إلى العقل البشري لإثبات صدق النبي . فقد نزلت بعد سورة المزمل -
أي في الأيام الأولى من الوحي .

هشام : ما علاقة الآية الكريمة بإثبات نبوة سيدنا محمد ؟

الاب : الأمر سهل . إن شاء الله .

الآية تقول للمشركين : أنتم تعرفون محمداً قبل يوم « افرا باسم ربك »

وتعرفون أنه على خلق عظيم - بشهادتكم له قبل الرسالة -
وأول ما تفرضه عليه أخلاقه العظيمة أن يكون صادقاً . وأنتم
شهدتم له بالصدق - بل سمعتموه صادقاً .

و"صادق إذا أخبركم باصطفااء الله له لما إذا تكذبونه ؟

لقد تناقضتم مع أنفسكم . عندما كنتم محمداً .

هشام : أظنك يا والدي أول من استدل بأخلاق النبي
على نبوته ؟

الأب : لا يا هشام .

لقد استدل السيدة خديجة - رضى الله عنها - بأخلاق
النبي على نبوته .

فعندما نزل الوحي لأول مرة على النبي - ﷺ -
ذهب النبي إلى خديجة ذاتاً يقول لها :
زميلني وذراني ...

فلما ذهب عنه الروح قال لخديجة : لقد خفت على نفسي .
وهنا تبلى ذكاه السيدة خديجة ، ودار بخلافها على النبي الطويل
- الذي عاشته معه - وأخلاقه الشريفة - التي لمستها عن قرب -
بل التي كانت سبباً في زواجها منه .

✖ عند ذلك قالت له : أبشر فوالله إن يخزيك الله أبداً .
لأنك اتصل بالرحم ...
وتصدق الحديث ...

وتحمل الحمل ..
وتكسب المعدم ..
وتقرى للضيف ..
وتعين على نوائب الدهر

مقدمات ثابتة توصلت بها إلى البشارة الصادقة ، ان يهنئك
الله أبداً ..

وقد تمت البشارة على المقدمات لتسهيل البشرى .
أو هو الاستهلال العقلي الواجب بأحواله الشريفة على
أكرام الله له .

فالسيدة خديجة هي أول من استدل بأخلاق النبي - ﷺ -
على نبوته .

* * *

ومن الذين استدلوا بأخلاق النبي على نبوته أيضاً دهرقل ،
ملك الروم -

هشام : وماذا كان من أمر دهرقل ؟

الآب : زار أبو سفيان بن حرب الشام - قبل إسلامه -
واستضافه هرقل ، وسأله عن النبي الذي ظهر في بلاد العرب .

هرقل : هل كان ابن ملك ؟

أبو سفيان : لا

هرقل : لو كان ابن ملك لقلنا إنه يريد أن يعيد ملك آبائه .
وسأل هرقل :

هل يكفر أحد أصحابه بعد أن يؤمن به ؟

أبو سفيان : لا ... لأنهم يريدون دائماً ...

هرقل : هل كان يكذب في شبابه ؟

أبو سفيان : لا .. لقد اشتهر بالصدق الأمين .

هرقل : والله .. ما كان لينزع الكذب على الناس ثم يكذب
على الله . ولئن كان ما تقول حتماً فهو نبي ، وسوف يملك مكان
قدمي هاتين .

كنت أعلم أن نبياً سيظهر .. ولما كنت أعلم أنه منكم
ولو كنت أعلم أن قومي يتركونني أذهب إليه لتبشعتم عناء
السفر لزيارته .

ولو كنت عنده لفتحلت عن قدميه .

هشام : وهل أسلم هرقل - يا أبي - ؟

الأب : لا يا هشام . . .

لقد خشي ثورة الرومان - ومات على دينه .

* * *

هشام : ولكن كيف عرف هذه الأشياء ؟

الأب : هرقل كان نصرانياً ، ونحن على علم بالكتب السماوية ،
وكان يعلم - نتيجة دراسته لهذه الكتب - أن نبياً سيظهر ، وأنه
سيرث الأرض ، وأنه خاتم النبيين .

هشام : هذا موجود في كتبهم ؟

الأب : وأكثـر من هذا موجود في الكتاب المقدس ، ولكن
يد المترجمين لعبت دوراً خطيراً في طمس البشارات .

اقرأ يا هشام كتاب « عقائدنا » لـ « كنور محمد الصادق » ،
وكتاب « لبوة محمد من لشك إلى ليقين » لـ « دكتور فاضل صالح
لسامرائي » ، وكتاب « إلهيار الحنف » لـ « الشيخ رحمة الله الهندي » .

وكتاب «هداية الحيارى من اليهود والنصارى» الإمام ابن قيم
الجوزية ، وكتاب «محمد في التوراة والإنجيل والقرآن»
للأستاذ إبراهيم خليل أحمد واشتهى أسلم وأصبح عضواً في مجمع
البحوث الإسلامية بعد أن كان قسيساً .


اقرأ - يا هشام - فالكتاب أستاذ أمين
هشام : فإن لم يصحبها وإبل فطل ..
الآب : أحسنت الطالب يا هشام .


أقد بشرت التوراة بنبينا محمد ببشارات عديدة اختار لك
بعمارة واحدة منها .


جاء في سفر التثنية : ص ١٨ قول الله لموسى عليه السلام :
أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم ، مثلك ، واجعل كلامي فيهم
فيكلمهم بكل ما أوصيته به .

وواضح من هذه البشارة أن النبي الذي سيرسله الله ليس من
بنو إسرائيل لأنه لو كان من بني إسرائيل لقال الله لموسى : أقيم
لهم نبياً منهم .

وأبناء إسماعيل هم لإخوة أبناء يعقوب وأبناء عمومتهم .
وفي البشارة إنه نبي مثل موسى - أي صاحب شريعة كشرعية موسى -

وهذا الوصف لم ينطبق على أحد بعد موسى إلا على محمد -  - والتوراة تشهد بهذا في سفر التثنية لإصحاح ٢٤ مقول : ولم يقم بعد ذلك من بني إسرائيل مثل موسى .

الوصف الثالث في البشارة أن النبي - الذي سيرسله الله - //
يسمى الكلام في فيه وذلك لأنه لا يقرأ وهذا (١) واضح في نبينا
محمد -  -

أما الإنجيل فقد بشر بنبوة محمد  . جاء في إنجيل يوحنا
أن السيد المسيح قال لتلاميذه .

أنا أسأل الآب (٢) فيكم (بارقليط) آخر ليعقيم بينكم
في الآبد .

مشم : ماذا تعني كلمة (بارقليط) ؟

(١) راجع نبوة محمد لذكر فاضل السامرائي ص ٢٥٢

(٢) الآب - بالمد كلمة يونانية معناها الخالق وليس معناها
وهذا لأن الآب بمعنى الوالد مقصورة وليست ممدودة .

الأب : يمكن أن تفهم معناها بتوسع لو قرأت كتاب
رسول الله في السكتب السماوية ص ١٥٤ ، وكتاب قصص
الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار .

ولكن تحت يدى الآن حوار لطيف جرى بين الأستاذ
فتحى عثمان وبين الدكتور «كارلو» أستاذ الأدب اليونانى القديم؛
فتحى : ما معنى كلمة «بارقليط» التى ذكرها الإنجيل
«يادكتور «كارلو» ؟

الدكتور : رجال الدين المسيحي يقولون : إن معناها
«المسى أو المعزى»

فتحى : لكننى أسأل الدكتور «كارلو» أستاذ الأدب
اليونانى القديم ، فإذا تقول أنت ... ؟

الدكتور : أقول : بارقليط - ترجمتها - الذى له حمد كثير .

فتحى : يعنى معناها أفعّل تفضيل من كلمة «الحمد» .

الدكتور : نعم ... هى كذلك .

الآب : أذكر يا هشام افعَل التفضيل من كلمة - علم وكرم وحلم .

هشام : أعلم وأكرم وأحلم .

الآب : وافعل التفضيل من كلمة - حمد ، ؟

هشام : داحمد ،

الآب : كلمة - مارقليط ، ترجمتها الحرفية - احمد ، وهذا سر عبارة القرآن الكريم على لسان تنبى - عليه السلام - ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد ، ٦ الصف وهذه دقة عجيبة في إشارة القرآن بمحمد ﷺ - مع أن النبى لم يدرس الأناجيل ، ولم يدرس الترجمة .

هشام : إنه وحى السماء . أشهد أن هذا القرآن من عند الله

ساجدة : أرهتت والدك يا هشام ، وأخذت حقنا وحقك ،

لم تشبع ؟

هشام : يا أمى طالبان لا يشبعان : طالب العلم وطالب المال .

ساجدة : الأفاضل يا لمبى هشام أن يتم الحديث فى المساء

لنستفيد جميعاً .

هشام : دائماً رأيك شديد يا أمي .
 الأب : وأنا يا هشام ؟ ويضحك الأب ،
 هشام : أعظم دليل على إصابة رأيك ، وعمق بصيرتك هو
 اختيارك لأمي زوجة لك ، ومربية لأولادك .
 الأب : أيضاً هذا مدح لأمك يا هشام - أكرمك الله -
 يضحك الأب وتطعمك الأسرة

* * *

وفي المساء اجتمعت الأسرة على حب وحناء ، وواصل الأب
 من الحديث ما التقطع .

ساجدة : يحضرنى سؤال حول الآية الكريمة : ولأنك لعلى
 خلق عظيم . .

لماذا لم يبدأ القرآن بمدح عقيدة النبي أولاً ، ثم شريعته ،
 ثم أخلاقه .

لماذا بدأ بالأخلاق ؟

عارف : يا ساجدة ، العقيدة السليمة تدفع صاحبها للعمل
 الصالح . لأن العقيدة بلا عمل لون من الإيحاء العقيم . وقد

رفض القرآن دعوة الأعراب - عندما ادعوا الإيمان وواقعهم
بأنني مع حقيقته (*)

(*) ذكر القرآن واقع الأعراب - وهم سكان البادية - فقال
عن عقيدتهم : « الأعراب أشد كفراً ونفاقاً » ، ٩٧ التوبة
وقال عن كراهيتهم للزكاة : « ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق
منه » ، وقال عن كراهيتهم للجهاد مع رسول الله ﷺ : « وجاء
ممنرون من الأعراب ليتوذن لهم » ، وقال عن جهلهم بكتاب
الله وشريعته : « وأجدروا ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على
رسوله » ، وقال عن وضعهم الاجتماعي في ظل الدولة : « ومن
حوالكم من الأعراب منافقون » ،

كان هذا حالهم حتى السنة التاسعة من الهجرة - وهي السنة
التي نزلت فيها سورة التوبة - التي فضحتهم - لذلك رفض القرآن
دعوات الإيمان . لأن الإيمان سلوك وطاقة . قالت الأعراب
لنا . . . قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا . . . ولما يدخل
إيمان في قلوبكم . . .
= ١٤ الحجرات

• • • • •
= رفض لإيمانهم ، وديجهم في صفوف المسلمين فقط على أمل
انطباعهم ، لما يدخل الإيمان في قلوبكم ، وكلمة لما تفيد
عدم حدوث الشيء في الزمن الماضي مع توقع حدوثه
في المستقبل . فلا وزن لإيمان عقيم لا ينجب سلوكاً عملياً .

ولا يقيم عن القاريء الكريم أن الأعراب هم أول من ارتد
بعد النبي ، وذلك لعدم تمكن الإيمان في قلوبهم بسبب بعد
سكنهم عن مسجد النبي . وحرمانهم من توجيهاته وتربيته -
التي حظى بها أصحابه فأصبحوا مشاعل على الطريق .

ولأن حياتهم كانت تحجب لهم العزلة والتحرر من الارتباط
بالدولة .

وناهيك بحفوة قلوبهم وغلاظة البارية التي جعلت السماء لا تختار
منهم نبياً أبداً لأن النبوة عطاء ورحمة .

وهذا لا يمنع وجود عناصر إيمانية كريمة في الأعراب =

ساجدة . . الإيمان سلوك . . فن كمل إيمانه خشع لله قلبه
وتأزم منهجه في العبادة ، فآله لا يعبد إلا بما شرع .
فالعقيدة الصحيحة تولد عبادة كاملة .

== عنها القرآن بقوله تعالى : « ومن الأعراب من يؤمن بالله
واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله . وصلوات
الرسول ألا إنها قريبة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور
رحيم . » ٩٩ التوبة

وما ارتد عن الإيمان بعد النبي إلا الذين قالوا بأفواههم
ما ليس في قلوبهم ، ولم يتمكن الإيمان من قلوبهم . ورحم
الله أبا بكر . لقد أعاد الإسلام هيئته عندما أدب الأعراب
والمنافقين وأخضعهم لدولة القرآن . وذلك بحروب الردة -
التي سیر فيها أحد عشر جيشاً في وقت واحد .

وأبو بكر هذا العمل يعتبر أول قائد يفتح أحد عشر
جبهة قتالية في وقت واحد ومع ذلك يستطيع أن
يحقق النصر .

والمبادات الكاملة تهذب الأخلاق وتزكّيها .

« نخذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها ،

١٠٣ التوبة .

« إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ٤٥ العنكبوت

« فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، ١٩٧ البقرة

فالمبادات مدرسة عملية للأخلاق .

فمن كملت أخلاقه فقد كملت عباداته وصحت عقيدته .

والحاصل على الدكتوراه لا بد أنه حصل على ما قبلها من
الدراسة وتفوق فيها .

فاقه - سبحانه - عندما امتدح أخلاق النبي - ﷺ - فقد
أثنى على دينه وخلقه .

العقيدة الصحيحة تؤدّل إلى
العبارات المربية

العبارات المربية تؤدّل إلى

١٥٦
عبد الله بن مسعود

الفصل الرابع

• المستشرقون ومنهجهم في السيرة
• محمد المثل الكامل للانسان

« فيلب حتى »

• كل مصادرنا تجمع على طهارة خلق محمد

« ولیم میور »

• لقد امتزجت العدالة والوحدة في نفس محمد

« ففليرى »

كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية وخطره على الشباب
• « نيوجين » أعماه الحق على نبي الاسلام

في غرفة المكتبة جالس الشيخ عارف على مكتبه ، جالس بين
الكتب ليربط فكره بفكر الآخرين ويستمتع بجواهر المكتبة
العربية والإسلامية . وفي عمق الدارس ، وذكاء المرب ، وبصيرة
الداعي يمر الوقت خفيفاً خفة النسيم .
ما أجل الكتاب .

جليس لا يمل ، ومرشد لا يمن بمعطائه .
ودخلت - ساجدة - زوجة الشيخ ودار هذا الحوار :

. . .

ساجدة : « تبتسم ، وتقول للشيخ عارف : لقد بدأت أغار
من الكتب كأنك متزوج بثلاث نساء غيры .

عارف : كل رجل عبقرى خلفه امرأة عظيمة .

ساجدة : تعني أنك عبقرى ؟

عارف : لا . . . بل أعني أنك عظيمة . . .

ساجدة : لاني أحب الكتب لانها بستان ، وثمار قرنت
ينتفع بها الجميع ، واث لا تستطيع أن تطعم أو تكمو
صحابك ولاكنك تستطيع أن تهيم السعادة بالكلمة المؤمنة .

لا خيل عندك تهديها ولا مال
فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

• يدق الباب ويحضر وائل يحل حقبة من الكتب ، ودار
حوار طويل ،

وائل : اشغلت في هذه الايام بالقراءة عن النبي ﷺ .
عارف : احسنت يا وائل .

يجب على كل مسلم أن يدرس سيرة النبي الكبير وأصحابه ،
وذلك ليجهل من حاضره امتداد لعظام الامة .

والامة التي تنسى عظامها ، وتحاول عزل نفسها عن ماضيها
مثلها كمثل رجل فقد ذاكرته فهو لا يدري من أين جاء ، ولا
ين يذهب . أوهى ككقيط مقطوع النسب لا يعرف أصله .
إن الإنسان يمتاز على الحيوان بدراسة التاريخ .

والفأر يموت في المصيدة التي مات فيها أبوه ..

ووثقى نفس المعصيدة للمستقبل الأجيال الجديدة .

إدرس التاريخ فإنه مدرسة ..

ولعلك تظنر الأساتذة الذين قرأت لهم .

واثل : كلهم من كبار مفكرى الغرب .

لأننى أحب منهج علماء الغرب فى الكتابة لما لهم من سعة
اطلاع وحداية علمية .

عارف : كنت أود أن تعرف الحق من أهله أولا .. ثم
تقرأ ما شئت بعد ذلك ولمن شئت ..

واثل : اطمن يا شيخ عارف .. إنهم منصفون .

لقد قرأت للدكتور د فيليب ، قوله :

« لقد تركت أعمال محمد اليومية وسلوكه فى الأمور الخطيرة
والبسيطة ، أبعد الأثر فى النفوس ، بحيث أصبحت قدوة
يقتدى بها الملايين إلى يومنا هذا .

ولم يحدث أن اعتبر شخص واحد — عند أى طائفة من
طوائف الجنس البشرى — المثل الكامل للإنسان فقلدت أفعاله

بمنتهى الدقة كما حدث للمحدث ،

« تاريخ العرب دكتور فلييب حتى ص ١٩٦ ،

وهذا غاية الإنصاف من كاتب لا يؤمن بالإسلام .

• • •

وقراءه للعالم « وليم ميور ،

تجمع كل مراجعنا التي - درسناها - على طهارة محمد وأنه
صورة نادرة بين أهل مكة بسبب ما وهب من عقل راجح ،
وذوق دقيق ، وعمق في التأمل .

« الفكر الحالد لمحمد على ص ٢٠ »

عارف : جميل يا وائل . .

وايكن ما رأيك في كلام « وليم ميور ، انتهى ذكرته ؟

وائل : إنصاف عظيم لأخلاق النبي - ﷺ - لقد قال
عن النبي :

عقل راجح ، وذوق دقيق ، وعمق في التأمل ..

عارف : هل لاحظت يا وائل أنه نسب عظمة النبي إلى

عبريته ولم يشر إلى النبوة .

لأنه يصور النبي على أنه مجرد مصاح اجتماعي أو فيلسوف .

والفارق بين النبوة والمبقرية كبير . .

والنبي — رسالة — قد جمع بينهما .

والله أعلم حيث يجعل رسالته ، ١٢٤ الأنعام

وائل : سبحانه الله .

لقد غاب عن هذا الأمر .

. . .

لكنني قرأت للمالمة د فاغليري ، في كتاب دفاع عن
الاسلام ص ٢٣ : قولها :

لقد كان محمد شديد التسامح ، وبخاصة مع أتباع الأديان
الموحدة لله .

وهو ملتزم بمبدأ « لا إكراه في الدين » ،

لقد امتزجت العدالة والرحمة في نفسه .

هذا كلامهم يا شيخ عارف .

فاذا نريد من كتاب الغرب أعظم من هذا الوصف ؟

عارف : لا نريد منهم شيئاً .

واسكن نريد منك ومن الشباب المسلم أن يعرف منهم علماء الغرب .

أقد وضعوا خطة خبيثة في كتبهم عن الإسلام . وفي سيرة النبي بالذات .

وائل : خطة خبيثة ؟

عارف : نعم . . كل شيء في الغرب مدروس ، ويسير على خطة .

لأنهم يكتبون ألف كتاب عن النبي .

كل كتاب يحتوي على مائة صحيفة مثلاً .

يحاول السكاتب أن يمدح النبي في تسع وتسعين صحيفة ،

ويضع نقطة السم في صحيفة واحدة .

فامتداحهم للنبي يروج الكتاب بين المسلمين .

ويشعروهم بأنهم أمام كاتب محايد يتحرى الحق فقط .

بما يجعل العقل يتقبل نقطة السم ولا يشعر بمناقها .

يا وائل .. إن نقطة السم لا يظهر طعمها في طبق العسل .
ولكن فعلها في المعدة لا ينكر .

فإذا طعن كل كاتب في جانب واحد من حياة النبي فإن
بمجموع كتبهم كفيلاً أن تشوه الإسلام ، وتفسد سيرة نبيه .

وائل : هكذا يفعلون يا فضيلة الشيخ ؟

الشيخ : وأكثَر من هذا يفعلون .. والمسلمون في غفلة .
يا وائل .. لقد ظهرت مجموعة من الكتب يدهي فيها المستشرقون
أنهم يبذلون جهوداً كبيرة ، وينفقون أموالاً واسمة في سبيل
التبشير بالنصرانية — في أفريقيا وآسيا — ولكنهم يواجهون
مشكلة صعبة تموق رسالتهم — هذه المشكلة في أدهائهم هي
أن الإسلام ينتشر وحده — في هاتين القارتين — بدون أي
جهود من المسلمين .

وهذه كلمة حق يراد بها باطل :
واثل : أى باطل فى هذه الشهادة العظيمة — التى تبشر بكل
خير ؟ .

عارف : يا واثل : الأمر أخطو مما تصور . بل مما
يتصور كثير من المسلمين عندما يفرحون بهذا الكلام ويرددونه
فى مقالاتهم وعلى بعض المنابر .

إن المبشرين يهدفون — من وراء هذه الخطبات المعسولة
إلى تقاعد المسلمين وتخديرهم .

فادام الإسلام ينتشر وحده — كما يقول المبشرون — فما
هو الداهى لهجرة الدعاة وإنفاق الجهد والمال ، فى سبيل نشر
لإسلام فى هذه البلاد ؟ ؟

لقد تقاعد المسلمون ، وتكاسل الدعاة ، وانصرف كثير من
أفئدة الاسلامة عن رسالتهم .

انصرفوا إلى خلافات نظرية ، ومعارك فكرية يعلم الله
أن الاسلام لا ناقة له فيها ولا جمل .

لقد نامت الأمة الاسلامية فى النور .

بينما استيقظ اعداؤها في الظلام وجدوا السير .

إن واقع المسلمين اليوم - كضباب في سحابة نقل إلى غرفة العمليات لاسمافه فظل من حوله يقلبون أظافره ويمشطون شعره - والمصاب يحتضر .

الغرب يخدعنا يا زائل :

وسوف أثبت لك صحة فهمي لمكتابات المستشرقين .

~ ~ ~

هات كتاب (حضارة الاسلام) وانقرأ ص ١٣٤ اقرأ في
مرك . . فأننا لا أحب أن أسمع .

راحكم أنت على ما تقرأ .

د يقرأ وائل وتبدو عليه علامات الاستغراب ،

وائل : عجباً . . أين الإنصاف - الذي يدعيه علماء

الغرب . ؟

وأين الحياء ؟

لأنه يدعي أن المسلمين نسبوا إلى النبي بعض الماهجرات المسيحية

والبوذية ليشبهوا رغبة العوام .

بل يدعى أن النبي نفسه كان ينسب إلى نفسه هذه المعجزات
يخرج نفسه من طبيعته البشرية . كي يظهر في صورة
الأنبياء .

عارف : عجيباً يا وائل . . الأمور الخارقة للمادة . المعجزات .
نسبت إلى البوذية . يعتبرها المؤلف حقائق ثابتة —
مع أنه لا يؤمن بالبوذية — وإن نسبت إلى نبي الإسلام —
ثبتت نسبتها تاريخياً — يعتبرها « جوستاف » خرافة
واساطير .

لأنهم يكرهون الإسلام يا وائل .
ولو كانت « جوستاف » نفسها أن يدرس شيئاً عن موقف
من الأمور الخارقة للمادة لعلم بجهل الشديد بهذا
نبي العظيم .

لعلك تذكر يا وائل يوم وفاة إبراهيم ابن النبي ﷺ —
ند صادم خسوف الشمس .

وهذه ظاهرة طبيعية يمكن أن تحدث في أى وقت .
ولكن بعض الصحابة ربط بين هذه الظاهرة وبين موت

إبراهيم — عليه السلام —

وقالوا خسفت الشمس لموت إبراهيم .

قالوا هذه الكلمة عزاء للنبي .

ومقام العزاء يتسع لمثل هذه المجاملات .

أوقالوها اعتقاداً بصحتها .

وكان النبي — ساعتهما — يعاني من آلام فراق ولده .

وكان يمكن للنبي أن يستمع لهذه المقالة ويسكت ولا لوم عليه

لأنه مشغول بدفن ولده .

ولكن النبي العظيم — أستاذ الحقيقة — لم يقبل أن يعزى

بما يخاف الحقيقة .

كان يمكن للنبي أن يسكت لئلا يك هذه المقالة تشيع بين

العرب ، فيوقن أتباعه ، ويؤمن أعداؤه .

ولكن النبي جفف دمه ، ووقف في الناس معلماً يقول :

الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينخسفان لموت أحد

ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة .

إن الحقيقة يا وائل . .

والحقيقة وحدها .. هي الأساس الذي بني عليه النبي
دهوته .

أين هذا من افتراء «جوستاف» — الذي يدعى أن النبي
كان ينسب الحوارق إلى نفسه ؟

وأمامك يا وائل كتاب «تاريخ الشعوب الإسلامية»
تأليف «كارل بروكلمان» .

اقرأ السخافات العقلية التي وضعها هذا الكاتب في كتابه .
من كل سطر منه يحتاج إلى ردود طويلة .

إنه يدعى أن النبي تدرج في مسألة التوحيد ولم يعرف
التوحيد الخالص في السنوات الأولى من بعثته .

ولو كلف هذا الكاتب نفسه أن يقرأ السور الثلاث الأولى
من أنزلت على النبي في فجر الوحي لأدرك صورة التوحيد
خالص الذي لم يرق إليه دين إلا الإسلام .

فمنذ الأيام الأولى للوحى والقرآن يؤكد قضية التوحيد
«أفرأبأهم ربك ، لا بأهم صنم أو بش . لأن ربك هو الخالق
لأن ربك هو الأكرم ، ولأن ربك هو المعلم .

وتأتى سورة المدثر : وتؤكد ضرورة تكبير الله ، وطهارة
النفس والقلب والثوب من كل دنس .

أما سورة المزمل : فمنهج التوحيد فيها واضح « رب المشرق
والمغرب لا إله إلا هو فاتخذنه وكيلًا ، » ٩ المزمل .

فأى توحيد أكمل من هذا التوحيد - الذى عرفه النبي
منذ الشهور الأولى من الوحى ؟

وهل عرفت ديانة الكتاب - إن كان عنده دين - توحيداً
أرقى من قوله تعالى : رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو .
فاتخذنه وكيلًا ؟

. . .

ويقول فى ص ٧٨ . من نفس الكتاب .

يتحتم على المسلم أن يعلن غير المسلم بالعداوة حيث وجده

لأن محاربة غير المسلمين واجب ديني .

هل قرأت يا وائل هذا الافتراء ؟

هل الإسلام يفرض على المسلم أن يعلن الحرب على جميع خصومه ؟

وائل : عجبا لهذا الكلام ..

إن « فاغاييرى » تقول : لقد كان محمد شديد التسامح .
وبخاصة مع أتباع الأديان الموحدة لله .

عارف : ولو قرأ هذا الكتاب سورة الممتحنة لرأى تسامح
الاسلام مع الذين يخالفونه في العقيدة — بشرط أن لا يحاربوا
الاسلام . قال تعالى : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين
ولم يخرجوكم من دياركم أن تبررهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب
المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم
من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم . ومن يتولهم
فإنه من الظالمين ، الممتحنة ٩

وهناك فارق كبير بين الدعوة إلى الاسلام وبين إكراه

الناس على الدخول فيه .

✱ كما أن الفارق كبير بين الفتوحات الإسلامية - وهي التحريض - وبين انتشار الإسلام وهو مسألة فكر واقتناع وحرية .

وحسبك أن تعلم أن بعض البلاد تم فتحها عسكرياً وفي الناس فيها على دينهم . كبلاد الأندلس - وقد كفل لهم حرية عالية .

كما أن كثيراً من بلاد العالم انتشر فيها الإسلام بدون أن تفتح عسكرياً .

• • •

وائل : لقد اتخذت بدعوة المستشرقين ، وغرنى ادعاء الحياذ والموضوعية .

وأملنا أن يوفق الله علماء المسلمين في نشر مثل هذا الحوا
ليضحوا خطة الغرب وخصوم الإسلام .
إن أعلامهم أخطر من سلاحهم .

ويجب أن تحصنوا الشباب من الأفاعى ،

عارف : الحمل ثقيل يا وائل .

وجهاز الإعلام الإسلامى فقير .

إن هذا أخى له تسع وتسعون نعمة ولى نعمة

حدة فقال أ كفلنيها وعزني فى الخطاب ، ٢٣ ص

يا وائل جهاز الإعلام الإسلامى فقير .

لم يبق للإسلام إلا المنبر - فسامع الله الذين يأخذون

الإسلام ولا يقدمون له .

• • •

لو قرأت أوصاف المسيح فى القرآن لعلمت أن القرآن ألقى

على المسيح مائة الجمل والسكاء .

قال تعالى على لسان المسيح :

وقال إني عبد الله

إني السكناج وجملى نبيا .

وجعلنى مباركاً أينما كنت ،

وأوصان بالصلاة والزكاة ما دمت حيا
وبرأ بوالدتي ..
ولم يجمعني جباراً شقياً ..
والسلام على يوم ولدت ..
ويوم أموت ..
ويوم أبعث حيا ،

٣٣ مريم

أما في سورة آل عمران آية ٤٥ ، ٤٦ ، فقد جاء قوله تعالى

، اسمه المسيح عيسى ابن مريم ..
وجيهاً في الدنيا والآخرة ..
ومن المقربين ..
ويكلم الناس في المهد وكهلاً ..
ومن الصالحين .

وقد دأب القرآن عن مريم ، وأثبت عفتها وطهارة منبتها
وعظيم أصلها .

فأصلها ثابت . إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم
وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض والله سميع
عليم . ٢٤ آل عمران .

وهي محفوظة من الشيطان منذ ولادتها لعتاء أمها .
وإني سميتها مريم وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً . وكفاهم
وكرها . ٢٧ آل عمران .

فهى طيبة الأصل والبذرة والبيئة والوإعى .

ثم صادفها اصطفاء الله لها على نساء العالمين ..
وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك ... وطهرك
واصطفاك على نساء العالمين ، ٢٤ آل عمران

وانل : هل نفهم من هذه الآية أن مريم - عليها السلام -
فضل عند الله من نساء النبي ؟

عارف : يا ولدي .. لا مجال للمقارنة بين أى امرأة وبين
أهات المؤمنين - نساء النبي ﷺ .

لأن الله قال عن نساء النبي : يا نساء النبي لستن كأحد من
للنساء ، ٢٢ الأحزاب

فالقرآن دافع عن عيسى وعن أمه .

فليت علماء الغرب يتأدّبون بأدب المسيح .

ولم يكن كيف تكلفهم بأدب المسيح وهم لم يتذوقوا حلاوة
دينه — الذي نزل من عند الله —

إن حركة التبعية العالمية تمتد لغزو فكرى يبارك الاستعمار
الغربي ويخدم مصالحه .

وما أبعد الوسيلة والغاية عن رسالة السماء .

القرآن يمتدح عيسى بما هو أمه ، ويدافع عن أمه ،
والسكاتب « نوجين » — الذى يلبس ثوب الرهبان ويحمل قلم
الافاعي ، يقول عن أشرف الخلق محمد — ﷺ — :

إن محمداً حرم لحم الخنزير لأنه كان سكران ونام فوق
كوم عال فات الخنزير وعضه . فقام محمد وحرم لحم الخنزير
على أمته .

وأسال هذا الكذاب الحاقده

ماذا حرمت التوراة لحم الخنزير ؟
هل هناك خنزير عرض موسى — بإسيادة الفيلسوف — فحرم
موسى لحم الخنزير على أمته .

وائل : التوراة تحرم لحم الخنزير ؟
عارف : أجل يا وائل .

جاء في سفر الذنية ما يؤكد تحريم لحم الخنزير .
وائل : يعنى لحم الخنزير حرام في شريعة موسى وفي شريعة
محمد — ﷺ — :

عارف : وفي المسيحية أيضاً . أعني المسيحية التي جاء بها عيسى
لأن السيد المسيح اعترف بشريعة موسى وأقرها :
وقال : ما جئت لأفرض الناموس .

لكن (بواس) — القدي دخل المسيحية بعد عيسى عليه
السلام استطاع أن يطمس الشريعة ويبطأها .

لقد زعم (بواس) أن بقاء للشريعة يعنى بقاء الخطيئة .
لابد أن يتخلص الناس من الشريعة ، لكي يتطهروا من
خطيئة .

جاء هذا في رومية ٣ - ٢٠ قال بولس :

ما دامت الشريعة قائمة فالخطيئة ترتكب ، ولكن المسيح
أبطل الشريعة . فبطل ارتكاب الخطيئة .

واثل : المسيح قال : ما جئت لأبطل الشريعة بل لأكملها
عارف : وواو قال : إن المسيح أبطل الشريعة ليخلصنا
من الخطيئة .

معنى كلام بولس أن الشرطة والقضاء هما سبب الجرائم .
فلا بد من إبعاد الشرطة وهدم دور القضاء حتى يسلم المجتمع
من الجرائم .

واثل : هذا منطق معكوس .

عارف : لذلك قال بولس بعد أن نصح في صرف الناس عن
الشريعة . الآن تحررنا من الشريعة . رومية ٧ - ٤

فلحم الخنزير حرام في اندبانة اليهودية بالنفس ، وحرام
في ديانة عيسى لإثراؤه بشريعة تنورا ، وحرام في الاسلام
لأن الاسلام يحس الحليبات ويحرم الحباثات فكيف يجوز كاتب
مثل « نوحين » ، حتى مثل هذا المقال ؟

وأين الموضوعية والحيادية وأمانة البحث التي يدعيها
علماء الغرب ؟

ومن أي مصدر تاريخي نقل المكاتب القدر مثل هذا
المسراء ؟

لأنني على ثقة أن مثله لو كتب عن نجوم الصينها ، وشعراء
شعر ، لكتب قلبه بلا مداد .

أما عندما يكتب مخبر عن سيد الخلق ، وحاقد عن نبي
الرحمة ، وماجن عن استاذ الشرف ، فلا تتوقع إلا هذا
المسراء .

إن الأتاء القدر يفسد اللين الساني :

وائل ؛ هل يمكن أن نعرف شيئاً عن سر تحريم لحم
الخنزير .

عارف : الأصل في اجتنابنا لحم الخنزير أن الله حرمه
عقبنا بنفس القرآن . ولأننا حرم عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير ، سواء عرفنا سر التحريم أو لم نعرفه .
ومعجزة النبي ﷺ - تلقوا أوامر القرآن بالطاعة ،

ونواميه بالاجتناب احتراماً لقداسة القرآن .

ويخطئ بعض الشباب عندما يعتقد أن الحكم يرتبط
بالملة العقلية فقط ، ويهمل النص الكريم .

فالزنا حرام . . .

سواء حدث منه رجل واختلاط ألساب أو لم يحدث .

إن بعض الشباب اعتقد حرمة الزنا لأنه يسبب اختلاط
الأساب ، فلما اكتشف الطب وسائل منع الحمل . .

فصور أن تحريم الزنا أصبح بلا جدوى .

إن الأصل في التحريم هو النص .

وقداسة النص باقية إلى يوم القيامة .

أما معرفة الملة فهي عامل يحض على إطاعة الأمر فقط .
بعد ذلك يمكن أن أقول :

- الحنزير لا يتخلص إلا من ٢٪ من حامض البوليك ويحتفظ
بالباقى في لحمه . مما يسبب آلام المفاصل عند آكله .

- وهو يسبب الدودة الطويلة :

وهذه الدودة تختلف عن الدودة التى يسببها لحم البقر .

لأن جرثومة لحم البقر تقتلها نيران الطهي .
أما جرثومة لحم الخنزير فلا تقتل .

- وهو حيوان يأكل القاذورات . وإذا وجد بها حيوانا ميتا أكله ، والإسلام يحرم أكل الحيوان الذي يأكل اللحم .
لا السمك - فإن الله أحله لنا بنص قرآني كريم ، وأحل
لنكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة ، ٩٦ المائدة .

وائل : لكنني أعلم أن العلم الحديث استطاع أن يقتل
جرثومة الدودة الطويلة في لحم الخنزير .

عارف : يقتلها من كل الخنازير أم من بعضها ؟ :

وائل : من الأنواع التي تربي بوسائل علمية ، وتطهى
بوسائل علمية .

عارف : وبقية الخنازير ماذا قدم العلم لها ؟

يضيف بعض علماء طباع الحيوان سبباً آخر لتجريم الخنزير
وذكر أن كل من أكل من لحم حيوان معين يتأثر بطباعه .
والخنزير لا يمار على أنثاه ، فإن صح فوطهم فلعل هذا
هو سبب برود الرجل في أوربا وعدم غيرته .

والل : تبقى كما هي . . .

عارف : ما كان الله ليذرع باده ضحية الأمراض - التي يسببها
هذا الحيوان - حتى يأتي للعالم ليعالجها .

والاصل في التحريم هو النهي الإلهي . كما قلت لك وليس
الاصل هو إدراك العلة .

إن بعض الذين يتحدثوا في فضل الصيام وحكمته قولوا :
إن الله شرع الصيام ليشعر الغني بآلام جوع الفقير .
وهذا كلام مقبول واطيف :

ولكن عندما قاله أحد الخطباء في أفغانستان ، وعزم
الشباب على الصيام . . .

جاء أحد الملاحدة - هناك - وقال للشباب :

الصوم يهذب الأغنياء ويشعروا بالفقراء .

فلماذا نصوم نحن الفقراء ؟

فأصبح الشباب مفطراً ، إعتقاداً منهم أن الحكم يدور مع

العله ، ولا يدور مع النص الثابت (١) .

وائل : هل هناك أحكام تغيب الحكمة منها على المسلمين ؟
عارف : هل كل المسلمين يدركون علة الأحكام وحكمها ؟
وائل : لا . . .

عارف : قلت لك : أن صحابة النبي يدع أن اجنبوا لحم
الخنزير ثم يسألوا النبي عن تحكمة من التحريم .
ولسكن قالوا : سمعنا وأطعنا ، لأنهم أيقنوا أن النهى جاءهم
من الله ، والله أعلم بسر السكون .

إن منوج تربية الجنود يستلزم إحترام الأوامر وإن غاب
الحكمة عن الجنود .

فتلا إذا أردنا أن ندخل معركة لتحرير القدس ، فعليما أن
نقنع الجنود بهدفها العام ، و تؤكد شرف المعركة .

أما عندما تدور المعركة ، ويصدر القائد أمره إلى بعض

(١) روى لى هذه الحادثة أحد العلماء الأجلاء وقد وفقه
الله وشرح أسرار الصيام ، وفرحيته بما أعاد الشباب إلى
الصيام مقتنعين .

الجنود أن يتقدم ، أو يتجه إلى مكان معين فيجب عليهم
احترام الأوامر وعدم مناقشة السبب ، حفظاً على الوقت
وسرية الخطة العسكرية .

وهذا ما نسميه في العرف الإسلامي « أمور تعبدية »
وانت : هل تتعارض الأمور التعبدية مع احترام الإسلام
للعقل ؟

عارف : لا يا وانت .

لأن الإسلام يقنع العقل بالأمور الاعتقادية — كوجود الله
ونزول القرآن من عند الله ، ونبوة محمد — فإذا ثبتت
هذه القضايا في النفس بالطاعة بعد ذلك واجبة وأضرب لك
مثالاً واحداً إذا خرج رجل — تقي في صدقه — من بيت وقال
لك : لا تدخل البيت لأن فيه وحشاً هائجاً ، فإن صدقته نجوت .
وإن خالفته دفعت الثمن غالياً . . .

وانت : الحمد لله الذي هدانا لهذا . . . وأتار لنا الطريق .
إن ديننا غني عن أباطيل خصومه . . .

لقد فضحت منبرجهم ، وأثبتت حقدهم .
بارك الله فيك أسفاً . وأباً لتلاميذك .
عارف : لا أمنعك من القراءة للمستشرقين . . .

ولكن اقرأ قراءة العاظم عليهم ، لا قراءة المخدوع بهم .
فإن الحق أبلغ . والله معك . .

* * *

الفصل الخامس

١ - مصدر القرآن في زعم المستشرقين

٢ - قصة الراءب بحيرى .

إن صدقتها فهي دليل على نبوة محمد .

وإن كذبتها فهي دليل على نبوة محمد .

٣ - هنا الحقيقة . . .

« جولد ميارت »

ذو القعدة عام ١٣٩٥ هجرية .

وكان الشيخ يستعد للسفر لبית الله الحرام ، ووفود المهنيين تملأ البيت وإذا بطارق يدق الباب . له المهندس المجيكي و جولد ييارت ، دله على الشيخ احد الشباب المسلم في لبنان - عندما قال له :

اقد حضرت إلى البلاد الإسلامية لأبحث عن الحقيقة .
ودار حوار طويل نذكر بعضه - بقدر ما تسمح هذه الصفحات
وقد نشر بعضه في كتاب : المال في القرآن ، عام ١٩٧٦ .

جولد : اقد سافرت إلى تركيا ولبنان بحثاً عن الحقيقة . وفي
فنادق لبنان التقيت بالشباب المراقى الأستاذ . وليد المشهداني -
فداني عليك .

بحثت في اليوم الثاني مباشرة لأنتى متمطش للحقيقة . وآمل
أن أجدها في بغداد عاصم . محاضرات الإسلامية .
الشيخ : عن أى شيء تبحث يا مسافر جولد ؟
جولد : هل لدى الشيخ ما يقدم المااصر بنبوة محمد ؟
الشيخ : القرآن هو الدليل الدائم على نبوة محمد - ﷺ -
جولد : الذى لا يؤمن بنبوة محمد لا يؤمن بالقرآن .

الشيخ : لا أعني أنني سأقرأ عليك قول الله تعالى : و محمد
رسول الله ،
ولا قوله تعالى : والله يعلم إنك لرسوله ،

١ المنافقون

فنحن لا نناقش بالقرآن إلا من يؤمن بأنه منزل من عند الله.

ولكن أعني أنني سأحاول أن أثبت لك أن هذا القرآن
منزل من عند الله عن طريق المناقشة العقلية .
وبعد ما من السهل أن تدرك أن محمداً رسول الله .

جولد : هذا صحيح إذا تيمرت لك أدلة عقلية .

فقد قرأت كلاماً متناقضاً لكتاب الغرب .

قرأت للكتاب « ارفنج ، ودرمنغام ، ورينيه ، وكارل بروكلان ،
وغيرهم .

قرأت لهم أن محمداً التقى ببعض الرهبان والأخبار وتعلم منهم
القرآن (١) .

(١) يقول كارل في تاريخ الشعوب الإسلامية : فاعله اتصل
بجماعات من النصراني كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل =

بل قرأت أن المسلمين تمموا القرآن - بعد موت محمد .

« الشيخ يضحك » ويقول :

المسلمون تمموا القرآن بعد موت محمد ؟

هذا كلام عجيب ..

لقد قال صاحب كتاب حضارة الاسلام :

إن القرآن لم يزد شيئاً ولم ينقص شيئاً منذ وفاة محمد .

بل أكثر من هذا أنه قال : حتى ترتب السور والآيات لم يحدث فيها أى تغيير .

جولد : قرأت هذا فعلاً .

أنا حائر لتناقض علماء الغرب في أمر محمد .

الشيخ : أضرب لك مثالا واحداً لأمانة الامة في الحفاظ على القرآن .

= هزيلة إلى حد بعيد ص ٣٤ ولسأله دكارل ، إذا كان القرآن وليد معرفة هزيلة بالسكتاب المقدس فلماذا عجز أصحاب المعارف الواسعة أن يأنوا بمثله عندما تحدث القرآن ؟ وسوف نقارن بين القرآن وبين كتابكم المقدس الذى تدعونه مصدراً للقرآن .

كون أبو بكر - خليفة النبي الأول - لجنة لجمع القرآن
في نسخة واحدة تحفظها الدولة .

وعين عمر بن الخطاب وزيراً للدولة في شؤون جمع القرآن .
وحدث أن اختلفت اللجنة مع عمر في حرف واحد من سورة
التوبة .

قرأ عمر ، والسابتمون الاولون من المهاجرين والانصار
لذين اتبعوه بإحسان . قرأ الذين اتبعوه بـدون واو - على
أنها بدل أو عطف بيان . آية ١٠٠ التوبة

وقرأت اللجنة ، والذين اتبعوه بإحسان ، على أنها عطف
نسق ، وقراءة اللجنة يفني عليها دخول كل متبع للسابقين في
رحمة الله ورضوانه .

فطلب عمر بن الخطاب من اللجنة أن تنتظر القراء الذين
هاجروا إلى سوريا والعراق ومصر والذين سيجمعهم موسم الحج
ليسألوه عن هذا الحرف .

وجاء موسم الحج وحضر القراء - الذين حفظوا القرآن
على يد النبي ﷺ وأكثروا وجود الواو .

فكتبها عمر ، وتنازل عن قراءته .

جولد : إلى هذا الحد بلغت أمانة النقل ؟

الشيخ : لقد قال زيد بن ثابت - رئيس لجنة جمع القرآن -

لأبي بكر الصديق - رضى الله عنهما -

والله لو كلمتني نفل جبل لكان أمون على من كتابة القرآن .

وذلك لشعوره بالأمانة الثقيلة في نقله - فكيف يدعى كاتب

غربي - في عصر سهل فيه تبادل المصادر والكتب مثل هذا الرأي ؟

يا مستر جولد . إن المؤسف حقاً أن كتاب الغرب إلى اليوم

يرددون الاتهامات التي وجهها رجل المبادية إلى الإسلام - في

عصر الجاهلية - بل والأكثر من هذا أنهم يفسرون الظاهرة

القرآنية بنفس التفسيرات الجاهلية .

إن أعلامهم امتداد للجاهلية الأولى ، باسم العلم وأمانة الدراسة -

لأنهم كاقطط الشريدة التي تبعث في القيامة عن فضلات الطعام .

وسوف أناقش معك هذه الأوهام بشيء من الإيجاز لأنني

أستعد للسفر غداً إن شاء الله -

المستشرق « نيو فائير » قال :

محمد تعلم القرآن من رهبان اقيم في رحلاته إلى مصر وإلى الشام .

وهذا كلام يؤكد جعل الكاتب بحياة محمد .

لأن محمد لم يسافر إلى مصر طيلة حياته .

لا قبل النبوة ولا بعدما .

المستشرق « دور منغام » قال :

التقى محمد بيهض الرهبان في قرية « مدين » وكان محمد في قافلة تجارية فتعلم منهم . ١ هـ

ولو كلف هذا الكاتب نفسه أن يدرس (خريطة بلاد العرب) لعلم أن القوافل من مكة إلى الشام لا تمر على قرية مدين . لأن مدين في سيناء . والقوافل لا تمر بسيناء .

أست معي يامستر جولد أن من يحمل هذه الأوليات التاريخية والجغرافية أولى به أن يستحي ولا يكتب عن محمد ؟

جولد : هل تعني أن محمداً لم يلتق في حياته بأحد من الرهبان ؟
الشيخ : لا أعني أنه لم يلتق بأحد من الرهبان .
لقد التقى برهبين يعرفهما التاريخ جيداً
ولم يكن وحده هو الجالس إليهما .

الراهب الأول : اشتهر باسم بحيري .

وكان عمر النبي موسماً لم يتجاوز الثمانية عشرة ، عندما رغب أن
يسافر مع عمه أبو طالب إلى الشام .
وأثناء لقاء الصبي محمد بالراهب العجوز كانت القافلة كلها
تجلس معه .

وأمن الراهب في محمد — ﷺ — وسأل :

الراهب : ابن من هذا ؟

أبو طالب : لأبي

الراهب : لا . إنه يتيم .

أبو طالب : ابن أخي .

الراهب : صدقت . ما ينبغي أن يكون له أب — علي

قيد الحياة . ثم نصح الراهب أبا طالب فقال :
يا أبا طالب . ارجع بابن أخيك .
فإني أخاف عليه يهود الشام أن يقتلوه .
يا مستر جولد .

من يؤمن بصدق هذه القصة — من كتاب الغرب — ويروج
لها — عليه أن يسأل نفسه :

كيف عرف الراهب أن محمداً يتيماً ؟
ولماذا خاف عليه من يهود الشام ؟

كيف تعلم النبي من الراهب — في ساعة من نهار — أصول
دعوة ومنهج أمة ؟

لماذا سكنت محمده — ^{عليه السلام} — ثمانية وعشرين عاماً بعد لقاء
الراهب ؟

لماذا لم يقل أصحاب القافلة لمحمد : كنا معك عندما سمعت
هذا المقال من الراهب ؟

يا مستر جولد . . .

إن قصة الراهب دليل على نبوة محمد

وليس تفسيرا اظاهرة الوحي - كما يدعى علماء الغرب .

جولد : ربما تكون القصة موضوعا ولا أصل لها .

الشيخ : من يدع ذلك يلتزم بالنتيجة المترتبة على الإنكار

وهي أن محمدا لم يتعلم من الراهب شيئا .

فإنكار القصة يثبت نبوة محمد .

والإثبات القصة يثبت نبوة محمد . ويثبت أنه مذكور في الكتب

العبادية السابقة - التي درسها الراهب .

جولد : حوار منطق فعلا ، لا يملكه علماء الغرب - الذين

يعرضون آراءهم على أنها مسلمة لا تناقش .

ومن الراهب الثاني - الذي لقيه محمد - ؟

الشيخ : راهب في مكة ..

اسمه « ورقة بن نوفل »

وقد زاره النبي بعد نزول الوحي عليه لأول مرة .

ولم يكن النبي يعرف أن الذي نزل عليه وحى من عند الله .

فلما سمع - ورقة بن نوفل - كلام الوحي بشر النبي أنه سيكون
نبي هذه الأمة .

وكانت خديجة مع النبي — عند الراهب — ومات الراهب
بعد فترة قصيرة .

يا مستر بولاند

بعد أن عرفت حقيقة أمر الراهبين اسمح لي أن أناقش
أمر — معك — مناقشة موضوعية

هل تتصور أن النبي ﷺ تعلم القرآن من اليهود . ثم جاء
معه ، وأعلن كفرهم بنص القرآن ، ولم يقل أحد منهم للنبي :
— بضاعتنا ردت إلينا ؟

ثم أناقش معك جايأ واحداً من القرآن — لضيق وقتي
— سأسافر غداً إن شاء الله تعالى — إلى بيت الله الحرام .
أناقش معك موضوع القصة في القرآن وللتوراة .

ذكرت التوراة قصة نوح ، وإبراهيم ، ولوط ، وموسى ،
داود ، ودان ، وسليمان .

وكل هؤلاء الأنبياء جاء ذكرهم في القرآن .

ولكن الدراسة المقارنة ستظهر لك الفارق الكبير :

• • •

نوح :

نصبت لآليه التوراة أنه شرب الخمر ونام فأنكشفت عورته

سفر التكوين إصحاح ٩ - ١٨

بينما ذكره القرآن بقوله تعالى : ذرية من حملنا مع نوح .
كان عبداً شكوراً .

لوط :

وصفته التوراة بأنه شرب الخمر حتى غاب عن وعيه ثم

سفر التكوين -

ببنتيه ١١

بينما وصفه القرآن بقوله تعالى : فأمن له لوط وقال .
مهاجر إلى ربى إليه هو العزيز الحكيم .

موسى :

وصفته التوراة بأنه إله هارون فقالت : هو يكون لك

سفر الخروج ٤ -

وأنت تكون له إلهاً .

بينما وصف القرآن هارون بأنه وزير لموسى :

واجعل لى وزيراً من أهلى . هارون أخى ،

ط ٣٠

يا مستر جولد .

من تصور أن القرآن ينهجه المنصف للأنبياء ، واللاحق ، قد
 ستمده محمد من اتهامات التوراة للأنبياء ، وتشويه سيرتهم ؟
 إن الظلم وتزوير الحقيقة ، لا ينبغي أن يصافاً ، ولا عدلاً .
 ونواصل مقارناتنا بين افتراء التوراة وحقائق القرآن .

• • •

هارون :

نواصل دراستنا للتوراة ، فنراها تذكر قصة هارون . .
 سمع يا مستر جولد ما نقوله التوراة :
 اسمع قصة هارون في الكتاب المقدس — الذي لا يستحق
 — الغرب من جعله مصدراً للقرآن :
 نقوله التوراة :

ولما طال زمن غيبة موسى ، أظهر هارون الضعف
 في تكسار ، وعصى الله ، وصنع لهم عجلاً ذهبياً لإسكاتهم .
 خروج ٣٢ : ٤

ونقول أيضاً :

والظاهر أن هارون راعى الجانبين فبنى للإله الجديد
 مذبحاً ، وأعلن عيداً للإله .
 خروج ٣٢ - ٥
 فالتوراة تدعى أن هارون هو الذى صنع الله وصنع المعجزة
 لبني إسرائيل - مع أنه نبي -
 ثم تعتذر عن هذا الخبر - الكاذب - فتدعى أن هارون
 صنع المعجل لإسكاتهم فقط ، لا لأنه كان يعتبره إلهاً مر
 دون الله .

هذا منطق التوراة . . ١١

أما القرآن فيذكر قضية المعجل الذهبى ، وينسب الجرم
 إلى فاعله الحقيقي ، وهو السامرى .

قال تعالى :

« وما أعجلك عن قومك يا موسى » .

قال هم أولاء على أثرى وعجأت إليك رب لترضى .

قال فإننا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامرى ،

٨٥ طه

وفى آية أخرى ، قال القرآن الكريم :

قال فما خطبك يا سامري . . ؟

قال بصرت بما لم يبصروا به .

فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سواي لي
غنى ، ٨٦ طه

فضائع المعجل — كما يخبر القرآن — هو الشقى للسامري .
أما هارون — عليه السلام — فوقف فيهم عذراً من عبادة
غير الله .

قال تعالى :

« ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به . وإن
بكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري » . . طه

فهل تصلح التوراة أن تكون أصلاً للقرآن ومصدراً ١٩٤

جولد يهز رأسه وعلى وجهه ملامح الحيرة ،

وفترك هارون يحفر الناس من عبادة المعجل . . لنلتقي
سليمان — عليه السلام —

نلتقي معه مرة أخرى في التوراة ، ومرة في القرآن - لنعرف
لما رقى بين الكتابين . وهل تصلح التوراة ان تكون مصدراً
للقرآن ١٩

يا مسترجعوا . نتناول بعض الفاكهة ثم نواصل الحديث
جولد : الحقيقة أغلى من الفاكهة .
عارف : الفاكهة تدل على طلب الحقيقة .
يضحك الجميع ويتناولون الفاكهة .
جولد : نعود إلى حديثنا .

عارف : صورت التوراة سليمان - عليه السلام - بأن
في سلطانه مثيراً للذات ، فأخذ في السرف والترف والتعيش
الممنوع أكيداً ، « سفر التثنية » ١٧ - ١٦
ولقد هدده الله وبخه في رؤياه الثانية .
فرغم أن يتعظ ، استكبر وتساهل في أمر ربه ، ونسب
ربه « الملوك ١ - ١ »

وأكثر من كل هذا قول التوراة عن سليمان :
أخذ يعاشر . . . ويعشر النساء الغريبات اللاتي من

ففسخ منهن سبعمائة بالمقد الدائم ، وثلاثمائة بالمقد المنقطع
 فاجتذب رآملن قلبه عن ربه . ملوك ١١ - ١٠
 هذا سليمان عندهم - أعنى فى توراتهم -

* *

أما القرآن فقد تحدث عن علم سليمان . ودقة فهمه فى الحكم
 بن الناس منذ فترة شبابيه المبكر (١)
 ونذكر نموذجاً واحداً لذلك .
 تقدم رجلان لداود عليه السلام أحدهما صاحب حق
 راعى ، والثانى صاحب غنم .
 واشتكى صاحب الحق : أن غنم أخيه دخلت حقله

(١) الحادثة المذكورة حكم فيها سليمان فى عهد والده داود
 - عليهما السلام - وانورا ذكر أن داود قد مات
 وعمر سليمان عشرين عاماً . « سفر الملوك »
 فعنى هذا أن سليمان حكم فى القضية قبل سن العشرين .

في الليل وأتلفت زرعه .

الحكم داود : أن يأخذ صاحب الحقل الغنم ثمويضاً عن زرعه
لكن صاحب الغنم اشتكى سليمان ضياع غنمه .

فدخل سليمان على أبيه وقال له :

يا بني اقه . . ادفع الغنم لصاحب الحقل ينتفع بها ، واد
الحقل لصاحب الغنم يمد زراعته .

ثم يرد كل منهما ما في يده لصاحبه .

قال داود : حكمت فعدلت .

وقد سجل القرآن هذه الحادثة دليلاً على نضج سلي

في شبابه .

قال تعالى :

وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم
وكننا لحكمهم شاهدين .

فقهناها سليمان . وكلا آتينا حكماً وعلماً ، ٧٨ الانبياء .

وقد امتدح القرآن سليمان فقال :

« ووهبنا لداود سليمان . نعم العبد . إنه أواب » ، ٣٠ ص

الحكم يا مستر جولد .

سليمان — في التوراة — مشغول بألف امرأة أملن قلبه
من ربه .

وسليمان — في القرآن — نعم العبد . . . لأنه أواب ،
س يتصور عاقل — يا مستر جولد — أن محمداً تعلم القرآن
من الكتاب المقدس ؟

. . .

إن اليهود يدعون أنهم شعب الله المختار . . . والإسلام
يسوى بين كل الناس ، ويجعل أكرمهم عند الله أتقاهم .
وعندما أخبر القرآن أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس .
يجعل عوامل التفضيل سمو شعب على شعب ، ولا دماً
دم .

لأنما جعل دائرة الذئير هي جهاد الأمة من أجل الخير
جهاد الناس عن المنكر . قال تعالى :

« كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » ١١٠ آل عمران

وقد أخبر القرآن أن جهادات من غير العرب سوف تدخل
الإسلام ويصبح لها كل ما للعرب من شرف .
قال تعالى :

« وآخري منهم لما يلاحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ،
٣ الجمعة

وشرف هذه الأمة مرتبطة بخدمة دينها والدفاع عنه .
فإذا انفصلت الأمة عن حمل أمانة الدين ، نزع الله منها
هذا الشرف .

« وإن تمولوا يستبدل قوماً غيركم . . . ثم لا يكونوا
أمثالكم ،
٣٨ محمد
ياممتر جولد .

هل يمكن أن تكون هذه المساواة العامة قد استنفاها محمد
من قوم لم يبق لهم من دينهم سوى الغرور والتعبد
على الناس ١٩

هذا من جهة العقيدة . . .
أما من جهة الشريعة اليهودية ، والشريعة الإسلامية

فالحلاف جلي وواضح .

اليهود يحرمون الربا .

والإسلام يحرم الربا .

ولكن اليهود يحرمون الربا بين اليهودي ، واليهودي فقط .
وليس غير اليهودي فيجوز إقراضه بالربا .

جاء في سفر التثنية :

أجنبي تقرض برباً .

ولكن لأخيك لا تقرض بالربا ، لكي يبارك الرب إلهك
كل الذي تمتد إليه يدك - هذه شريعة التوراة -

أما الإسلام فيحرم الربا على المسلم ، سواء كان المقرض
مسلماً أو غير مسلم .

• • •

أما اليهودية تحرم لحم الميت .

والإسلام يحرم لحم الميت .

ولكن التوراة - التي يدعى المستشرقون أن النبي أخذ

القرآن من تعاليمها - تقول - في سفر التثنية :

لا تأكل جثة ما . - بمعنى أى جثة -

تعطيها للغريب على بابك يأكلها أو يبيعها لأجنبي ، لأنك
شعب مقدس للرب إلهك . .

يا مستر جولده .

هل تصور أن الدين يسوى بين كل الناس في أحكامه ،
ويعطى لغير المسلمين من الحقوق كل ما للمسلمين ، ويجعل
عليهم من الواجبات بمقدار ما على المسلمين ؟

هل تصور أن هذا الدين يمكن أن يكون امتداداً لدعوة
اليهود العنصرية ، أو للتثليث النصارى ؟

إن التثليث لا يوجب التوحيد الخالص .

وظلم سيرة الأنبياء وتشويه قدرهم - في التوراة -
لا يمكن أن يكون مصدراً للإنصاف التاريخي - الذى -
جاء به القرآن .

والديانة المخلقة على قوم بعينهم لا يتصور إعاقل أنها أم
للدعوات العالمية المفتوحة .

جولد : لاني أشعر بما يشعر به راكب السفينة .

عارف : أشعر بدوار في رأسك ؟

جولد : لا

بل أشعر بأنني في طريق لإدراك الحقيقة . ببساطة ، كما

شعر راكب السفينة بأنه في طريقه إلى شاطئ السلام .

لقد بحثت كثيراً عن الحقيقة . . .

وسافرت من أبحارها إلى بلاد هدة . . .

لقد أصبحت على يقين من أن محمداً لم يأخذ القرآن من

سورة والإنجيل . لأن من أتلف على فن تأثر به - مهما

حاول أن يتناساه .

ولمكنتي قرأت لبعض المستشرقين أن محمداً كان بطيلاً

تأمل في السكون . حتى هداه تأمله لهذا الدين .

عارف : وددت لو أنك تهجد اللغة العربية لتقرأ كتاب

النبي العظيم ، لقد كنور محمد هبدي الله دراز .

كما وددت لو ترجم هذا الكتاب ونشر بكل لغات
العالم .

لأنه يناقش قضية نزول القرآن من عند الله مناقشة
عقلية وافية .

- أحد الأمثلة : تذكر سفرك غداً بعد الفجر .
- سوف تهاجر عقب صلاة العصر - إن شاء الله .
- إذن نواصل الاستماع .
- لو صنعت لنا بعض الشاي أكرمنا .

* * *

طارف : يا مستر جولد .

لماذا أضفنا للدراسة السابقة - والتي توضح أن منهج
القرآن - في العقيدة والشريعة والسيرة - يختلف تماماً عن
منهج الكتاب المقدس . لم أضفنا حقيقة أخرى وهي أن
محمداً قضى أربعين سنة من عمره أمياً لم ينشغل بتدريس
ولا تدريس ، وذهنه خال من أي فكرة لإصلاح ، أو

بجبر اجتماعي . لقد عاش يرضى الغنم ، ويتاجر في مال
مدينة حذيجية ، ولم يسمع منه يوماً أن يتحدث عن توحيد الله ،
عن نعيم الجنة ، أو عن أى دعوة للخير .

أربعمون عاماً ليس بالعمر القليل . .

وقد سجل القرآن هذه الفترة ، وأكد فراغ ذهن النبي
من كل شيء - إلا ما يشغله الرجل العسادي من شؤون
الحياة (١) .

(١) نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك
من القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين .

٣ يوصف .

وقد تعالى : تلك من أنباء الغيب أوحينا إليك ما كنت
تحتها أنت ولا قومك من قبل هذا .

٤٩ هود - ولو كان له ، أو لقومه هلم بها لأعلنوا
كذابه .

وقال تعالى : وكذلك 'أوحينا إليك روحاً من أمرنا

فالقُرآن يؤكد خلو ذهن النبي في مرحلة ما قبل « إقرأ باسم ربك » - من كل شيء - .

هذا القرآن قرأه النبي على قومه - الذين يعرفون عن حياته كل شيء ، ولو لم يوافق وصف القرآن للنبي حقيقة حياته لقال للمشركون له :

فقد هي أنك أمي لم تدرس ، ولم تتعلم ؟

والحقيقة : إنك درست عند فلان ، وتمعنت من فلان .
لأنهم كانوا أحرص الناس على تكذيبه .

== ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ،
« آخر الشورى »

وقال تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك ... لاذن لارتاب المبطلون ، »
« ٨٨ » العنكبوت ،

أى لو كنت تقرأ لارتاب المكذبون وقالوا : إنه درس . ولكن عدم قراءتك دليل على تلقى وحى الله .

ولكن سكوتهم عن ذلك دليل على صدق دعواه . . .
يامستر جولد . . .

القصة — في القرآن — تعتبر إخباراً عن غيب الماضي .
وإخبار النبي عن غيب الماضي بدقة كدقة القرآن — مع
أنه أمي — يؤكد أن القرآن ليس نتيجة التأمل الفكري . لأن
التأمل لا يكشف عن المغيبات (١)

جولد : أشعر أن الحوار يحترم عقلي .

(١) استعمل القرآن كلمة فرعون لحاكم مصر في عهد موسى ،
وقال فرعون ، واستعمل كلمة الملك لحاكم مصر
— نفسها — في عهد يوسف ، قال الملك ، وثق سر التسمية
بمجهول حتى اكتشف العلماء حجر رشيد — الذي كان مفتاحاً
لدراسة اللغة المصرية القديمة . وبمدها علم رجال التاريخ أن
المصريين القدماء كانوا يطلقون على الحاكم من أبناء مصر
فرعون ، وإذا كان الحاكم محتلاً للبلاد يسمونه
ملكاً .

ويقوى احتمال نزول القرآن من عند الله . ولكن
لا زالت بحاجة إلى حديث طويل .

فقد قلت لك : إن كراكب مفيضة يقترب من الحقيقة
بهده .

عارف : أنت تطلب الحق ، ونحن في خدمة الحق .

لقد كشف القرآن عن غيب الحاضر — كما كشف عن
غيب الماضي .

ويتجلى هذا الأمر في فضح القرآن لنفاق المنافقين . وكشف
طويبتهم — مع إجادتهم لتمثيل دورهم .

والأعجب من غيب الماضي ، وغيب الحاضر هو إخبار

== ويوسف عليه السلام عاش في أيام الهكسوس الذين غزو
مصر من أراض آسيا ، وطردهم دأحمس ، . فهل أدركت سر
القرآن في التسمية ١١٩

وهل مثل هذا السر يدرك بالتأمل ؟

القرآن عن غيب المستقبل فجاء الزمان فصدق ما أخبر
به القرآن .

والله واهد كثيرة لمن قرأ القرآن .

كان النبي في مكة بعيداً عن أحداث معركة الفرس
والروم .

وتطاولت الأخبار بهزيمة الروم -- أمام جيش الفرس .
وحزن المسلمون للنتيجة - الروم أصحاب دين ، أما
الفرس فمجوس يعبدون النار .

وفرح المشركون بالنتيجة ، لأن الفرس أقرب لهم من
النصارى .

ولم يكن القرآن نزل يخبر المسلمين أن النصر للروم - في
حولة شائبة - من المعركة .

والأدب من هذا أن القرآن حدد المدة -- التي سينتصر
فيها الروم .

حددها ببضع سنين .

والبضع من ثلاثة إلى تسعة . ثم أكد القرآن أن نصر
الروم سيوافق نصراً آخر عنه المسلمين .
نزلت الآيات في مكة ...
ومرت السنوات تباعاً .

وهاجر النبي إلى المدينة .
ودارت معركة بدر الكبرى . وانتصر المسلمون فيها .
وفي أثناء احتفال المسلمين بنصرهم ، وصلتهم أخبار تؤكد
انتصار الروم على الفرس .

والتقى النصران . وصدق الله وعده ، وصدق نبيه قال
الله سبحانه في القرآن المبكى :

« غَابَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ
فِي بِضْعِ سَنِينَ . . . »

فه الأمر من قبل ومن بعد . . .

« ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ه الروم

« يومئذ . . . أي يوم انتصار الروم ، سيفرح المؤمنون

بنصر الله . وقد وافق نصر الروم على الفرس انتصار المسلمين
في بدر .

هل هذه المفيات يمكن أن يدركها العقل بالتأمل وطول
النظر في الكون .

جولد : لا .

الامر اعق من كل هذا وأجل .

واكن . ربما كان محمد يعلم الغيب ؟

تارف : إذا تصورته يعلم الغيب فقد تصورته نبياً .

يا مستر جولد .

لم ينسب محمد إلى نفسه أنه يعلم الغيب .

وقد أعلن القرآن هذا .

« قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا

لكم . إن أتبع إلا ما يوحى إليّ وما أنا إلا نذير مبين »

الاحقاف

وقال تعالى :

« قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا

أقول لكم أنى ملك ، ٩ : الانعام

وعندما غنت جارية — فى عرس — وقالت :

وفينا نبي يعلم ما فى غد

قال لها الرب : لا تقولى هكذا . وقولى ما كنت تقولين .

فمحمد — فى ذاته — ووفق قانون بشريته — لا يعلم الغيب ،

والقرآن أخبر بكثير من المغيبات ، وصدقها القليل والى الأيام .

والغيب هنيئاً . من دخله بدون وحى فضحه . وكذبه .

فن أين جاء محمد بهذا القرآن ؟؟

جولد : هذا الخيال فسكرى .

ما كنت أعتقد أن منهج الإسلام بهذا الوضوح .

عارف : الإسلام قضية عادية .

غير أنه وقع فى أيدي محامين فاضلين .

جولد : لا يوجد فى الغرب من يضح هذه الحقائق الشباب

ما جمل الصوص العقائد يقدمون الباطل ويخفون الحق . وهم

آمنون من فضيحة باطلهم .

عارف : هذا قدرنا - يا مستر جولد -

المعركة ضارية ، والسلاح قليل .

على أى حال نعود إلى موضوعنا .

لقد علمت يا مستر جولد أن دعوة تعلم محمد من الرهبان

تعتبر تزويراً للتاريخ .

ودعوة أن القرآن نسخة عرّافة للكتاب المقدس لا يقبلها

عاقلاً . (١)

لأن القرآن مصحح لما أحدثه الزمن في هذا الكتاب .

ودعوة الاستبطان الذاقى ، يردّها وجود المغيبات الصادقة

في القرآن . فمغيبات لا تدرك بالاستبطان الذاقى ولا

(١) قال لى أحد المجادلين عندما أخرجته هذه الحقائق

لثابتة : ربما تمام محمد من النوراة والإنجيل المصليين .

فضحككت وقلت له :

كلامك هنا معناه إن كتابك - الذى تؤمن به ليس أصلياً ،

بل محرفاً .

فاعتذر بأنها عبارة غير مقصودة .

بالتأمل .

فمن أى مصدر جاء للنبي بهذا القرآن ؟
يا مستر جولد :

ما رأيك فى العلم الحديث .

جولد : خدم الإنسانية ، ويحاول أن يستخرج كل شئ من الخدمة
الإنسان . والعلم استخدم منهج التجربة والمشاهدة لإدراك
الحقائق الكونية .

عارف : هل يمكن للتأمل الفكرى أن يكتشف حقائق علم الفلك
والتشريح والفضاء ؟
جولد : لا .

عارف : سوف أقرأ عليك بعض آيات القرآن ، لنعرف
هل يمكن للنبي أن يتوصل إليها عن طريق التأمل أو دراسة
الكتاب المقدس ؟

نتكلم القرآن عن شكل الأرض فقال : والأرض بعد ذلك
دحاهما ، ٣٠ النازعات
والدحية هى البهية .

فهل هناك علاقة بين البيضة وشكل الأرض (١) ؟

جولد : أدق تشبيه الأرض هو هذا التشبيه .

الأرض فعلاً بيضاوية الشكل .

والآية تحتل فهماً آخر - من ناحية اللغة -

العرب يقولون : دحى المطر الحصى - إذا باعد مكانه .

فيحتمل أن يكون معنى الآية - أن الله دحى الأرض أى فرق القارات بعد أن كانت متماسكة .. وخريطة القارات تؤكد أنه لو وضعت كل قارة بجوار الأخرى - اكمل بعضها بعضاً .

جولد : هذه أحدث النظريات في موضوع القارات .

عارف : هل يمكن أن يكون قول القرآن هذا من وحى

التأمل ؟

(١) سبق أن تكلمت عن هذه الآية في رسالة - هذه

عقيدتك يا ولدى - بشئ من الإسهاب . وبينت العلاقة بين
بيضاوية الأرض وتوزيع الماء والمرعى عليها .

جولد : احتمال بعيد .

عارف : وأبعد منه أن تسمع هذه الآية - التي أخبرت أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ثم فلقها الله . ثم لا أوقن بأن هذا القرآن منزل من عند الله .

لقد أثبت صمود الإنسان إلى القمر ، وإحضار قطع منه وتحليلها .

كما أثبتت دراسة إبلان ان اشهب والنيازك - التي تصلنا من الكواكب - أن المادة التي خلقت منها هذه الكواكب كلها مادة واحدة .

وهذا يؤكد ما أشار القرآن الكريم إليه في قوله تعالى :

(أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقنهما) ٣٠ الانبياء

جولد : هذه حقائق علمية لم يعرفها العلماء إلا في القرن الماضي .

عارف : فمن علمها للنبي - ﷺ - ١٤

لقد تكلم القرآن عن أسرار الفضاء - التي لم يعرفها الإنسان

إلا في القرن العشرين عندما تقدمت سماعة الطيران والصواريخ
- فأنت تعرف - يامستر جولد - ان الإنسان كلما صعد إلى
أعلى - بالطائرة أو بالصاروخ - كلما شعر بتغيير في الضغط ،
وضيق في التنفس .

وقد اخترعت وسائل علمية لحفظ الطيارين ورجال الفضاء .
ما رأيك يامستر جولد . . في أن القرآن شبه ضيق الصدر
الذي يصيب الحائر ، بضيق الصدر - الذي يصيب من يصعد
في السماء .

الضال يضيق صدره بكفره .

والذي يصعد في السماء يضيق صدره باختلاف طبقات الجو
ونقص الأوكسجين . قال تعالى : « ومن يرد أن يضلّه يجهل
صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء »

١٢٥ الأنعام

وكلية « يصعد » تفيد الصعود من درجة إلى درجة أعلى منها
بمشقة وضيق صدر .

قال القرآن هذا - وأعلى مكان يمكن للرجل يومها أن يصعد
إليه هو جبال مكة ، وكشف العلم سرَّ الآية عندما ركب
الإنسان الصاروخ .

فهل كان محمد خريج كلية الطيران ؟

جولد : إننا نعرف وعظّم الرهبان وكلامهم .

إن محمدًا يتحدث من وراء الغيب .

القرآن شيء آخر .

شيء آخر فعلا .

وهذا الحوار يحترم عقل .

ويبدو أن الرياح تدفع السفينة أسرع وأسرع إلى الحقيقة

ويضع جولد بيدارد رأسه بين يديه ويفهم شيئاً ويقول :

حتى الغضاء يتحدث عنه القرآن . . . ١١

وراء القرآن سرٌّ عظيم .

إن العالم يفتخر الآن بدراسة الغضاء .

عارف : يا مستر جولد

تحدث القرآن عن الكون حديث الخالق من خلقه ،
وتحدث عن جسم الإنسان - حديث العالم بأسراره . واذكر
لك مثالا :

العلماء اكتشفوا أن حساسية الإنسان تتركز تحت جلده .
والقرآن أشار إلى هذا السر قبل العلم بألف عام : لقد جعل
القرآن منطقة الجلد هي منطقة إحساس أهل النار بالعذاب .

قال تعالى : إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصيبهم نارا
كلما فضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا
العذاب . أن الله كان عزيزا حكيما ، ٥٦ النساء .

فكلما احترق الجلد بدلهم الله جلدا آخر ، لأن الجلد هو
مركز الإحساس . وفالك ليذوقوا العذاب .

ويومها يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا
يعملون من سوء في الدنيا .

ولكنهم يماثلون جلودهم فقط :

قال تعالى : وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ؟ ،

قالوا أنطقنا الله -- الذى أنطق كل شيء -- وهو خالقكم
أول مرة ولإليه ترجعون

٢١ فصلت

حتى عندما يخبر القرآن مومم المذاب لباطن الجسد --
وظاهره ، يؤكد القرآن على الجلد .

تال تعالى : وقالذين كفروا قطعتم لهم ثياب من نار
يصب من فوق رؤوسهم الحميم . يسهر به ما فى بطونهم
والجلود ،

٢٠ الحج

فهل يتصور عاقل أن مثل هذا الكشف العظيم لسر من
أسرار الجسد عليه محمد عن طريق الاستبطان النفسى ،
أو مباشرة للبيئة ، أو من الكتاب المقدس ١١٩

• • •

وهل القرآن إذا أخبرنا . أصل تكوين الجنين فى بطن الأم .
وسبق خالق العظام للحم ، وتكوين جدار الرحم من طبقات
ثلاث ، ثم يأت علم التشريح ويدرك الطبقات الثلاث والمبارية
والأمينية والحريرية .

وهى أنسجة لا يتغذى منها الضوء ولا الصوت .

قال تعالى :

وَيَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ
ثَلَاثَ ، ٦ الزمر

هل يمكن أن يكون محمد قد درس الشريعة ، وتخصص
فيه ؟ ،

والفضاء أنقن علومه .

والكون أحاط بأصله وسره ؟ .

يامستر جولد :

إن القرآن إن تحدث عن الماضي صدقه التاريخ . وإن تحدث
عن المستقبل صدقته الليالي والأيام . وإن تحدث عن الكون
صدقته العالم الحديث .

فهل هذه العلوم من نوع معارف الرهبان ؟

أم سرفها محمد من الكتاب المقدس ، وأخذها من أصحاب
معارف هزيلة بالكتاب المقدس كما يقول : د كارل
بروكلمان ؟ ،

أم نبعث من نفس محمد نتيجة التأمل ؟

لقد عرضت عليك القضية بتفاصيلها ، وزكت لك الحكم .

جولد : التفسير الوحيد الذي يفرضه العقل أن هذا القرآن من عند الله ...

أجل ... من عند الله ...

بكل هدوء أقول : هنا الحقيقة ...

محمد رسول الله ...

محمد رسول الله ...

إني آمنتم بربكم ... فاسمعون ...

رده الجالسون الشهادتين . ورددها جولد بياضته والدموع من الفرح قسيل ، وسيطرت على الجميع أشراقة نورانية وهنا بعضهم بهضا .

وحان وقت صلاة الفجر ، ووقف مسلم جديد بين صفوف أهل الحى لأنه « جولد » يسارت المهندس البلجيكي ، « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » .

الباب الثاني

الفصل الأول

- الحقائق التاريخية أولا .
- هل حاكم الفلاسفة ؟
- عبيد قادوا الأحرار .
- الذين استرقوا الأحرار ، هم الذين يهتمون بالإسلام
باسترقاق العبيد !!

زار الشيخ أحد الأصدقاء ، بعد غيبة عن فيها اللقاء ، فقبل
بالترحاب واللقاء ، والبشر والهناء .

وبعد جمال الترحاب ، ومسامرات الأحباب .

سأل بعض الحاضرين عن قضايا الدين .

فهلل الشيخ للسؤال وأفاض المقال :

عمار : يشغلني موضوع هام يشير الشباب دائماً وأحب أن
أعرف رأي الإسلام فيه .

لماذا شرع الإسلام الرق ، وهو دين المساواة والحرية ؟

عمار : يخطئ كثير من الشباب فهم الدور الذي قام به
الإسلام في قضية العبيد .

مشكلة العبيد مشكلة صعبة .

بدأت مع فجر الحضارات القديمة ، وأقرتها كل النظم القديمة
والدهوات السماوية - التي سبقت الإسلام . حتى الفلسفات
المنالية أقرت هذا النظام على علمه ولم تفكر في منح العبيد أى
حقوق على سادتهم ، - ولا حتى في مجال الخيال المثالي - الذي
لا يكلفهم شيئاً .

فأرسطو قال : لا يزال في العالم أناس خلقوا للسيادة ،

وآخرون خلقوا للطاعة ، فهم كالألات الحية التي تساق للعمل ،
ولا تدري فيما تساق إليه .
هذا رأى أرسطو .

• • •

وفي « جمهورية أفلاطون » ،
يقسم الناس إلى أقسام ثلاثة :

القسم الأول : الحكام

ويدعى أن الآلهة وضعت في طبيعتهم ذهبا ليسكنهم من
السيطرة والحكم .

القسم الثاني : المساعدون للحكام

ويدعى أن في طبيعتهم فضة .

القسم الثالث : طبقة العبيد

ويدعى أن في طبيعتهم حديداً ليسكنوا زراعاً وعمالاً .

الرومان :

وفي الرومان صاحبة القوانين الرومانية — التي لم تزال
تدرس حتى الآن —

حرموا العبيد من الميراث ، والامرة ، وحق التقاضي
أمام القضاء .

واعتبروا العبيد شيئاً . لا بشخصاً .

فلما دخلت الديانة المسيحية الرومان تأثر القانون الروماني
بمساحة الديانة الجديدة فحرم — لأول مرة في التاريخ — على
السيد أن يقتل عبده .

. . .

اليهودية :

أما الديانة اليهودية . . فقد أباح لليهود إذا حاربوا بلداً
وانتهكوا عليها . . ان يأسروا كل نساءها وأطفالها . أما الرجال
فيجوز قتلهم ، ويجوز اسرهم ليصبحوا عبيداً إلى الأبد .
« اقرأ سفر التثنية — الاصحاح العشرين »

النصرانية :

وجاءت النصرانية . واكتفت بأن تطالب من العبيد أن يطيعوا ساداتهم . وقد جاء في رسالة بولس ما يؤكد هذا .
«لست المشكلة كما هي منذ فجر الحضارة حتى جاء الاسلام .
وعندئذ بدأت المشكلة قتيلاً للحل .

...

الاسلام :

إن أول عبد قال حرّيته - في الاسلام - هو بلال بن رباح الحبشي - الذي اشتراه أبو بكر وأعتقه ليخلفه من التعذيب .

فبلال أول عبد حرّره الاسلام .

وأبو بكر ... أول من حرّر للعبيد .

...

عماد : هذا عرض تاريخي جيد ، ولكنه موجز .
نريد أن نعرف المزيد .

حارف : الكتاب هو المصديق الذي لا ين ، ولا يمل

فاقرأ : كتب الفقه الإسلامى فإن فيها أبواباً لحقوق العبيد .
واقراء : حقائق الاسلام ، لعباس محمود العقاد ، واقراء
: لارق فى الاسلام ، للأستاذ ابراهيم الفلالى ، وشبهات حول
الاسلام ، الأستاذ محمد قطب ، والاسلام والعبيد ، الأستاذ
ابراهيم النعمة .

عماد : ولكن وجودك فرصة .

عارف : الاسلام لا يعرف الشعارات ولكن يضع الحلول .
انا اعرف جيداً أن الشرق والغرب وتلاميذهما فى بلادنا
يرددون على مسامع شبابنا هذه القضية دائماً معتقدين أنهم
سيغفرون الاسلام وينالون منه .

وقبل أن أجيبك عن موقف الاسلام من هذه القضية
أسألك .

مارأيتك فى سفينة تحطمت فى وسط البحر ، وكاد يغرق
كل من فيها ، وأعرضت كل السفن المجاورة لها عن إنقاذها ،
ولكن قبطاناً ماهراً حاول بكل قوته الفكرية والجماعية

أن ينفذ من يستطيع من الغرق .

هل ترى من العدل أن نحملة مسئولية الذين ماتوا ، ولم
يستطع إنقاذهم ؟

عماد : لا ... ربما لو عاونته السفن الأخرى لنجا الجميع .
هل أى حال يجب أن يُقدّر ويُشكر .

عارف : لقد جاء الاسلام فوجد مشكلة العبيد عالمية الحجم
قديمة التاريخ ، معقدة الجوانب .
فوضع منهاجاً متكاملًا لحلها .

لقد شرع الاسلام العتق .. ولم يشرع الرق .
والمقاد ،

فوضع منهاجاً متكاملًا للعتق وتحرير العبيد .
وينقسم منهاج الاسلام إلى ثلاثة أقسام :

أولاً : تأمين الأحرار على حرياتهم .
ثانياً : تصفية المشكلة ومنح الحرية للعبيد .

ثالثاً : تأمين حياة الدين لم يحصلوا على الحرية ولا كرامتهم

• • •

فأول شيء فعله الاسلام هو تأمين حرية الأحرار . و
يكن هذا أمراً سهلاً .

لقد كان النبي الحر يُسرق من أهله ويبيع فيصبع عبداً
وربما عجز المدين عن سداد دينه فيصبع عبداً للرأبي -
صاحب الدين .

وخارات السلب والنهب - التي كانت تقوم بها القبائل لسرقه
المال وسبي العيال من المستضعفين لا حرج فيها .
جاء الاسلام فحرم كل هذا . ليؤمن الأحرار على حرمتهم .

قال صلى الله عليه وسلم :

ثلاثة أنا خصومهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته
= أى انتصرت عليه أطام الله =

رجل أعطى بنى ثم غدر. (١)

ورجل باع حراً وأكل ثمنه .

ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره . (٢)
وعندما آمن الإسلام الأحرار على حريتهم فقد حاصر
مشكلة ، ومنع امتداد الحريق .

• • •

تبقى أمام الإسلام مشكلة العبيد — الذين ولدوا هكذا أو
أروا عبيداً بعد ولاقتهم .

أولاً : فتح الإسلام أمامهم باب الحرية العادلة .

عماد : ماذا تعنى بكلمة الحرية 'عادلة' ؟

عارف : أعنى أن الإسلام راعى جانبيين .

(١) أعطى بنى — أى عاهد ثم غدر .

(٢) الحديث رواه البخارى .

الجانب الأول : هو رغبة العبد في الحصول على الحرية .
والجانب الثاني : هو أنه حافظ للسيد على أمواله التي بذلها في
شراء العبد أو تربيته .

الإسلام دين عادل ... لذلك شرع عقد بيع الحرية للمعبد
- أي عقد المكاتبه - وهو يعني أن العبد إذا رغب في الحصول
على الحرية يتفق مع سيده على مبلغ من المال يدفعه له السيد
فيصبح حراً .

قال تعالى : والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيماكم
فكتابوهم إن علمتم فيهم خيراً . وآؤم من مال الله الذي آتاكم ،
٣٣ التور

عماه : من أين يدفع العبد هذا المال ، مع أن كسبه - دائماً -
لسيده ؟

عارف : قد راعى الاسلام هذا الأمر جيداً .
فبمجرد توقيع العقد يصبح كسبه لنفسه لا لسيده .
بل طلب الاسلام من الجماعة المسلمة أن تعينه على ثمن الحرية .
وهذا معنى قوله تعالى :

وأتوهم من مال الله الذي آتاكم ، ٣٣ النور

عماد : ربما يمتنع سيده عن المكائبة .

عارف : الأمر القرآني يُرغَّب المسلم في القبول .
والمسلم بطبيعته ليس أنانياً .

ومع ذلك لو امتنع السيد عن التوقيع على عقد المكائبة ،
يمكن للعبد أن يرفع الأمر إلى القاضي ، فيرغمه القاضي
على القبول .

عماد : وإذا تم توقيع العقد ، وتمصر العبد في السداد ولم
يجد من يعينه ؟

عارف : أفق الإمام على — كرم الله وجهه — بأن العبد
إن عجز عن تدبير المبلغ ، يدفع القيمة التي درها سيده . وبمجرد
أن يدفع القسط الأول يصبح حراً ويلزمه بقية المبلغ (كدين
مدني) عليه تسديده عند الميسرة ، ولا يرجع للعبودية بحسب
عجزه عن السداد .

عماد : نعم الفتوى ، ورضى الله عن أمير المؤمنين علي
— كرم الله وجهه —

يا فضيلة الشيخ :

أنت قلت الآن : إن الاسلام فتح باب الحرية للعبد الراغب فيها .

هل يمكن أن تتصور عبداً لا يرغب في الحرية ؟
حارف : الحرية تعنى المسؤولية .

وبعض العبيد تربوا على العمل الجسماني فقط .
ولم يُعَدَّ لتحمل المسؤولية .

وبعضهم تبلد عنده الشعور بالعبودية ، فأصبح لا يألم بها .

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بيت لإيلاف

وأمثال هؤلاء لم يفكروا في دفع ثمن الحرية ، لرضاهم
العيش في ظل سادتهم .

ومع ذلك لم يحرمهم الاسلام من الأمل في إهداء الحرية
لهم بلا ثمن .

عماد : يحصلون على الحرية بدون أن يطلبوها ؟
حارف : نعم .

شرع الاسلام بابه العتق للزوجة الى الله - سبحانه - وقد أخبر
النبي - ﷺ - أن من أعتق عبداً حسبة لوجه الله ، أعتق
الله رقبته من النار . وأما رجل أعتق امرأة مسلمة أو مملوكة (أمة)
بكل عضو منه عضواً منه - أي من - يده - من النار .

«رواه البخاري»

ولقد كان أم بكر العتق هو أول من أعتق عبداً في
الاسلام . عندما اشترى - بالان - عتقه .

وكان عمر بن الخطاب يذكّر دائماً بهذا السبق النبوي بذكر فيقول :

رحم الله أم بكر .

كان سيدنا .

وأعتق سيدنا .

«أمد الغاية ج ١ ص ٢٠٩»

وقد دعا التران لفك رقاب العبيد ، كما دعا - أسن -
معاملتهم .

فشرح الإعتاق على وجه التوبة في . قال تعالى :

« فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة . فك رقبة ،
سورة البقرة

كما شرع الله العتق في كفارات ثلاث ، بالنصر القرآن .
القتل الخطأ ، الظهار ، وكفارة اليمين .
أولاً : من قتل مسلماً خطأ . فليعوض المجتمع المسلم بتحرير
رقبة من العبودية . قال تعالى :

« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ . . .
« ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة . . .
ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا ، ٩٢ النساء

ثانياً : إذا حرم الرجل امرأته عليه وقال لها :
أنت محرمة عليّ كظهر أمي . ثم هزم على الرجوع فيها
قال . .

فلا تحمل له زوجته حتى يكفر عن ظهاره .
قال تعالى :

« والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير
رقبة من قبل أن يتأسوا . ذلكم توعظون به وإنه بما

تعملون خبيراً . (١) في المجادلة

ثالثاً : شرع الاسلام كفارة اليمين - الذي أقسمه المسلم
على شيء في المستقبل يعزم أن يفعله ثم لم يستطع . أو يمرم
على عدم فعله ثم فعله .
فعليه كفارة هذا اليمين .
قال تعالى :

لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم . (٢)

(١) روى أن خولة بنت ثعلبة ظاهرها زوجها فلما اشتكت
للنبي قال لها النبي : لا أبرأك إلا قد حرمت عليك . فلما اشتكت
أمرها الله أنزل الله حلالاً لمشكلاتها وشرع الكفارة .

ومضمون هذا الحادث يؤكد أن القرآن من عند الله ، لأن
القرآن أفتى بغير ما أصر عليه النبي من تحريم خولة على زوجها
أوس بن الصامت .

(٢) كأن يقول نعم والله ، أو لا والله ، وهو لا يقصد
اليمين . وكان يقسم على شيء في الماضي يعتقد أنه صادق فيما يقول
ثم يتبين خطأه .

ولكن يؤخذكم بما عقدتم الإيمان . (١)

فستأمره لإعطاء عذرة إما كذب من أوسد لها تطامنون أهلكم
أو كسوتهم أن تحرير رابعة . نحن لم نجد في قيام ثلاثة أيام .

٨٩ المائدة

فكلما جاءت فرصة للخير وجهها الإسلام إلى تحرير العبيد .

وإذا كانت هذه الحجة يتبنها المجتمع المسلم ، فإن ذلك
لا يصرف همه الدولة من المساهمة في هذه الأمور الخطيرة . فقد
جعل القرآن صمماً من الزمان فذلك الرقاب .

قال تعالى :

إلّا ما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة
قلوبهم وفي الرقاب (٢) ٦٠ الآية

فالدولة وأفراد وعتق العبيد أنفسهم يتعاونون على منع

(٣) بأن يقسم على شيء في المستقبل أن يفعله أو لا يفعله
ثم لا يأتزم بيمينه .

لحرية للمعبود . كتمانهم حتى ضرورت الحياة .
عماد : وإذا لم يندبر العبد على شراء - مريته ، ولم يسدده
الحظ فيحظى بمن يهبها له .

هل يعيش عبداً مهنياً ؟

هاتف : يبدو أنك لم تدرس صورة التمتع ☺ في ظل
الإسلام .

النفاس في مثل الإسلام سواسية كأسنان المشط . لا فضل
لأحد على أحد إلا بالتقوى .

التقوى التي جعلت من بركة مؤبداً طاروا ، وشاوراً له . .
التقوى التي جعلت سلفين الفاضل من آل بيت النبي ﷺ
ورضى الله عنهم .

وجعلت أسامة بن زيد أحب الناس إلى رسول الله ﷺ .
واسمع هذه الحادثة :

فرض عمر بن الخطاب لأسامة بن زيد - رضي الله عنهما -
خمسة آلاف درهم - كل عام . بينما فرض لعبد الله بن عمر
ابن الخطاب ألفي درهم فقط .

فقال عبد الله لأبيه :

فضلت أسامة عليّ . وقد شهدت من المعارك ما لم يشهد .

قال عمر - رضي الله عنه - :

إن أسامة كان أحب إلي رسول الله منك ، وأبوه كان أحب إلي النبي من أبيك .

« أسد الغابة ج ١ ص ٦٥ »

فالتقوى . . . والتقوى فقط . . . هي دائرة التفاضل في

المجتمع الاسلامي .

وقد عمل الاسلام جاداً على إزالة التجاهيد التي تركها الومن

في وجه العبيد . وأعاد لهم الكرامة السليبية .

أولاً : فتيان لا هميد

استبدل القرآن كلمة (عبد) وكلمة (أمة) بكلمتي (فتى وفتاة)

وذلك ليربي الأمة على خلق جديد .

قال تعالى :

إذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين ،

٢٠ الكهف

وفي قصة يوسف :

« وقال لفتيانہ اجعلوا بضاعتهم في رحا لهم اعلمهم يعرفونها »

٦٢ يوسف

وأنت تعرف يا حماد أن كلمة فتى تطلق على الحر وعلى العبد

سواء بسواء .

قال تعالى عن إبراهيم — وهو حر ، وابن حر .

« قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم »

٦٠ الانبياء

كما استبدل كلمة « أمة » الالهي بكلمة فتاة .

قال تعالى :

« ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات

فن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات »

٢٥ النساء

لذلك نرى النبي — ﷺ — يؤدب الناس بأدب القرآن

فيقول :

لا يقل أحدكم يا عبدي ويا أمي ...

بل يقل : يا فتى ، ويا فتى .

عماد : لكر . ١٠ - زلزال الكرم ، والصالحين من عبادكم
ولماتكم . . . ٢٢ النور

عارف : هذا جميعه . أكرموا الله .
هذه هي الآية التوعيدية - في كل تقرآن - التي استعملت
كلمة عبادكم .

لمكنها جمعت (عباد) (عباد) .
وأنت تعرف أن (عباد) (عباد) (عباد) (عباد) (عباد)
يقال في مقام اللبس « عباد » .

قال تعالى « وعباد الله » .
٦٣ الفرقان

وفي مقام التثنية « عباد » (عباد) (عباد) (عباد) .
قال تعالى : « وما ربي بغير علم » .
٤٩ فصلت

فاته - سبحانه - قال : « والصالحين من عبادكم » ، ولم يقل
« والصالحين من عبيدكم » .

هذا من ناحية انك الآية السكينة .

أما موضوع الآية . فهو لزوم الحق .
زواج العبيد والإماء - حق وصدق ما جرت به
من الأنهراف .

مؤلاء هم العبيد في ظل "السلام"
وجب الاسلام على المعادة :

لطماعهم عما يأكلون . وكسوتهم عما يلبسون . ثم تزويجهم .

يا عماد :

عبيد - في ظل الاسلام - جزء من الأسرة الإنسانية الكبيرة .
زواج الأحرار من عبيد .

قال تعالى : « ومن لم يستطع منكم لولا أن يشكركم الرحمن
لذات ، فمن ما ملككم ، أيادكم من قبياتكم المؤمنات -
وأنه أسلم بآيائكم - بعضكم من بعض . فأنكحوهن بإذن أهلن
وأنوهن أجورهن بالمعروف »
د ٢ النساء

ويستفاد من الآية الكريمة .

- ١ - رفع الحرج - الذي كان يصيب العربي - إذا تزوج من أمة .
- ٢ - أن الأحرار والإماء أسرة واحدة - بعضهم من بعض -
لأنهم جميعاً من آدم . وآدم من تراب .

وبعضكم من بعض في الإيمان أيضاً .

وما وراء الإيمان أمور لا ينبغي الالتفات إليها .
• إن أكرمكم عند الله أتقاكم •

(راجع تفسير آيات الأحكام ج ٢ ص ٧٩)

وقد أكد النبي هذا الإحفاء في قلوب الناس .

• إخوانكم خولكم . . . فن كان أخوه تحت يده . . .
فليطعمه بما يأكل . . . وليلبسه بما يلبس . . . ولا تكلفوه
ما لا يطيقون . . . وإن كلفتموه فأعينوه ، (صحيح مسلم)
• ويفهم أيضاً من الآية السابقة أن الفتاة جزء من الأسرة
• التي تعيش فيها - مع ساداتها - وساداتها هم أهلها .
• فانكحوا من ياذن أهلن ، أى ياذن ساداتها . واسكن

ظلال التعبير القرآني له أمر عظيم - فلم يقل : فانكم خوهن
بإذن سادتهن . بل قال بإذن أهلن ، ليثبت الولاية .
صاحب البيت : يا عماد يا ولدي لقد شغلت الشيخ وأتعبته
وأود أن تسأل الشيخ عن حاله وعياله ؟

عارف : واقعهم بخير والحمد لله .
هشام في التعليم الثانوي وشيخاه في السادس الابتدائي ،
وأهمهم تعيش في خير حال - والحمد لله -
أبو عماد : إن شاء الله سنزوج عماداً لشيخاه . وهشاماً
لوقاه أبنتي .

ما رأيك يا شيخ عارف ؟

عارف : هذا حديث سابق لوقته .
لا بد من نمو الأولاد أولاً . ثم يصبح لهم الاختيار .
أبو عماد : ورأينا يا شيخ عارف ؟

عارف : رأي الوالدین استشاري فقط .
والحكمة الأولى والأخيرة للشباب والفتاة .

عماد: دعونا من موضوع الزواج لنرجع إلى موضوع العبيد
عارف: لقد أصبحت أغنى كثيراً يا عماد .

ما هي النقطة التي ذكرتها لك ؟

عماد: أنت تتعقني يا شيخ عارف ..

لقد تحدثنا عن تاريخ العبيد .

وتحدثنا عن موقف الإسلام من تأمين حرية الأحرار .

وفتح باب الحق للمدافع - أي الذي يتنقل السيد حقه ، ولتأمين حريته .

وتحدثنا عن حبة الحاربة . قربة إلى الله ، أو كفارة لقتل

خطأ ، أو ظهار أو يمين .

وعرفنا جميع معاملة الإماء - الإماء - عبيد في حياتهم المادية

والأدبية .

عارف: أحسنت يا عماد .

ومن ناحية حرمة الدم .

فقد ساءلني الإسلام بين دم العبد ودم الحر .

قال - ^{سورة} - : من قتل عبده قتلناه . ومن جلد عبده
جلدناه . ومن أسلم عبده أسلمناه .

رواه البخاري ومسلم

فالماء متكاثفة بين أحراراً وعبيد .

عماد : لم يكن الفرقان يقول : لا يبيد بالعبد .

عارف : إمرأ الآية من أولها لأنها عامة في تسوية الدماء

بين المسلمين - أحراراً وعبيداً ، رجلاً ونساء -

قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في

القتل ... الحر بالحر . . . والعبد بالعبد . . . والآل بالآل . . .

١٧٨ البقرة

فصدر الآية يفيد عموم القصاص في كل دم أريق ظلماً .

و كتب عليكم القصاص في القتل ،

سواء كان المقتول - رجلاً أو عبداً ، رجلاً أو امرأة .

أما قوله تعالى : الحر بالحر ، والعبد بالعبد .

فإنه علاجاً لمشكلة جاهلية .

بعض هشاشات الحرب كانت تأخذها البرقة بالإثم .

فإذا اعتدى عبد من عشيرة أخرى على عبد منهم يقسم أحدهم
أن يقتل حراً - بريئاً - بدم العبد المقتول منهم ، وإن قتلت
امراة منهم يقتلون بدمها رجلاً - ولو كانت القاتلة امرأة .

وفي ذلك من الظلم ما فيه ، لأن القاتل ينجو ويقتل مكانه

برىء .

فنهام الله من ذلك ، وطلب منهم العدل في القصاص .

فلو قتل عبد عبداً فالقصاص من القاتل نفسه .

لا يجوز أن نتمدها إلى برىء . ولو قتلت امرأة امرأة
فالقصاص من القاتلة .

• • •

عماد : بارك الله فيك يا شيخ عارف . ولكن ما معنى
الآية الكريمة ؟

والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت
أيمانهم فإنهم غير ملومين . ٦ المؤمنون

عارف : يا عماد . لقد أباح الاسلام للسيد أن يماشر
فتاته مع غير المتزوجة — معاشرة الأزواج .
وذلك لإشباع حاجتها كأنتى من ناحية —
وليغنى عليها المطاء والزينة من ناحية أخرى .
لأنها ستمعيش في فراشه .

والأهم من هذا أنه إن رزق منها بمولود — واعترف بنفسه
منها — فإنها تصبح أم ولد — وينقلها ولدها إلى الحرية بمجرد
موت أبيه .

هذا إذا لم تكن متزوجة .

أما إذا كانت متزوجة ، أو زوجها سيدها — من رجل آخر —
فلا يجوز لسيدها أن يماشرها ، لأن الاسلام لا يعرف
شيوع الجنس .

أبو عماد : يا شيخ عارف شغلك عماد عنا .
والعشاء جاهز .

وقد أعددت لك سمكة نهريّة طيبة .

قم يا شيخ . . .

« يقوم الشيخ ويجتمع الأحاب على الطعام »
وبعد الطعام يعود الحوار :

عماد : كل شيء تكرر من به في الحديث عن العبيد أراح
صدري . . .

ولكن لماذا لم يحرم الإسلام الرق نهائياً كما حرم
الخمر ؟

عارف : الحلوى النظرية سهلة .

ولكن الإسلام يعالج التماور بحكمة وعدل .

فهو يبحث عن الحرية المتعادلة . ورحم الله أحمد شوقي
وهو يصف منهج النبي في معالجة الأمور فيقول :

داويت متأسداً وداووا طنرة

وأخف من بعض الدوام الداء

عماد : لكن الغرب استطاع إلغاء الرق بقانون واحد .

عارف : لماذا ألغى الغرب الرق ؟

عماد : احتراماً لحقوق الإنسان .

« يضعك الشيخ ، ويتمجب عماد من ضحكك »

عبيداً يبلغ عدد الباقي من ذريتهم - بعد القتل والاضطهاد نحو خمسة عشر مليوناً في الأمريكتين . وهو عدد يضارع خمسة أضعاف ضحايا المفجعة - بمعنى بيع العبيد - في القارات الثلاث منذ ألف عام .

• حقائق الإسلام لعباس محمود العقاد ،

في خمسين عاماً استرقوا حوالي ١٥ مليوناً فهل الغرب يعرف القيمة ؟

عماد : لكن الغرب بعد ذلك ألغى تجارة العبيد وحرم

عارف : يا عماد يا ولدي .

يوم أن كان الغرب بحاجة إلى خدم يستخرجهم لقضاء حاجته في أوروبا وأمريكا . كان يسمح بسرقة الأحرار السود ، ونقلهم لبلاده ، وبيعهم في سوق العبيد .

فلما جاء الغرب واستعمر بلادنا ، وهزم على سرقة خيراتنا وجد نفسه بحاجة إلى بقاء السود في بلادهم ليزرعوا الأرض ، وينقبوا عن المعادن ، ويحندم في الممارك الخاسرة .

أبقى الاستثمار على السود في أفريقيا عندما احتاج إلى الأيدي
العاملة الرخيصة في أفريقيا .

أبقاهم عبيداً له وتحت سياطه ، وحرم نقلهم إلى أوروبا .
احتراماً للأخلاق المنفعة - التي يؤمن بها الغرب .

يا عماد . .

إن دلالة العمل أعظم من دلالة الشهادات .

كيف نصدق الغرب في دعواته حقوق الإنسان ونحن نرى
داخل بلاده ، مشكلة الملونين ، لم تجد لها حلاً حتى الآن .

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد :

فإن في الأمريكتين إلى اليوم أمة من السود مهزولة
بأسبابها وظهورها وحقوقها العملية تماماً عن المجتمع .
حقوق الاسلام

إن الرجل الأسود - حتى اليوم - لا يدخل مطاعم
البيض . ولا يدخل مدارس البيض . ولا يركب سياراتهم .
ومع ذلك لا يستنحي الغرب من دعواه تحرير العبيد ،
واحترام حقوق الإنسان .

* * *

نقول السيدة دالة رضى الله عنها :

ما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله من نبي إلا أمره سليمان وآله .

ونوبق فيهم بنو حارثة بن النضر بن عبد الله .

أسد الغابة - ١ ص ٢٧٧

وعندنا السند زيد بن حارثة ، ويعرض بكى أنس عليهم ما قال :
أخواس ، وهؤنسان ، وشهدنا .

ولم يذكر القرآن اسم أسد من الصحابة إلا زيد بن حارثة
في قوله تعالى : فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها ،

٢٧ الأحزاب

يا حماد . . .

مؤلاه هم العبيد في ظل الاسلام .

لقد عين النبي أسامة بن زيد - وهو في الثامنة عشر من
عمره قائداً على جيش كبير ، كان في طريقه إلى أول معركة
دولية بين العرب والروم .

وكان كبار الصحابة جنوداً في هذا الجيش وكان قرار تعيين أسامة هو آخر قرار أصدره النبي في حياته . ثم لاقى النبي ربه بعد أن أصبح الميراث قلة . والسادة جنود . ولكن يعمل لحساب الإسلام :



عماد : لقد غابت هذه الحقائق عنا كثيراً . ولكن - وبما
يحكم سنن - كنت أنتظر أن تنزل آية تُلغى نظام الرق إلى الأبد .
أعتقد - يا فضيلة الشيخ - أننا لا أقترح على الله . ولكنه ^{من} ^{هو} ^{مهي}
الإسلام ...

عارف : لو انتهت الحروب إلى الأبد .

وأخافت معانم الأسلحة .

وسرحت كل جیوش العالم .

وعاش الناس جميعاً في محبة .

يومها فقط - يمكن أن يصدر الاسلام أمراً
بإلغاء الرق .

عماه : هلنا خيال بعيد .. الحروب باقية إلى يوم القيامة .

وقد أثبتوا أنهم قد وجدوا من "الذين آمنوا" -
عملية تسمى "الذين آمنوا" - واستعملوا
على ذلك ما كان من "الذين آمنوا" -
صحة ما يسمى "الذين آمنوا" -
(الذين آمنوا من الله)

وحيثما كان من "الذين آمنوا" -
تكون من "الذين آمنوا" -
قال تعالى :

وإذا أتتكم الأخبار من غيركم فليكنها
مخبركم من "الذين آمنوا" -
من "الذين آمنوا" -

وإذا أتتكم الأخبار من غيركم فليكنها
مخبركم من "الذين آمنوا" -

أولئك الذين آمنوا من الله ، ونحوه المسلمين وكرمهم
مماثلة أنه يرى في "الذين آمنوا" ، فلو كان باق ما بقيت
حروب .

والاسلام كان يسترى الاسير كما كان محبوس الاسلام
يسترى من المسلمين .

وكل دول العالم حتى الآن تحبس الاسرى في السجون الحربية
حتى تفديهم اموالهم .

عماد : الآن عرفتم حقيقة الامر . وفهمتم منهج الاسلام
لن الذين قرأنا لهم ظلموا الاسلام وجعلوا منهجه .

طارف : العجيب يا عماد ..

إن الذين يتهمون الاسلام باسترقاق العبيد ، هم الذين
استعبدوا الأحرار !!

عماد : هذا واقع صحيح .. أكرمك الله .

وطلب المجلس من الشيخ أن يريده من البيان
المفيد ، ولكن الشيخ قد اعتذر ، لأن السائق
قد حضر ، فإلى لقاء جديد لننهل ولستفيد .

الفصل الثالث

في هذا اللقاء :

• الطبيعة وحدها .

• ما جئت لأنقض الناموس .

• زهرة في الصحراء .

• أيمن أقرب إلى قلبه .

• لستين كأحد من النساء .

عزم الشيخ على زيارة توفيق البديع ، في
لمجازة في الربيع . ليستم بخيره الوفير ،
وجال الحديث . وشقه المصانير . وأدرك
شباب الغيرة ، أن الله ساق لهم هدية .
فسارحوا إلى الشيخ فرحين ، ليتمتعوا
بمحبة الدين وفرح الشيخ بالشباب ،
وقدم لكل سؤال جواب .

واقف : هوأية على سلامتك - يا شيخ عارف -
لقد وجهتني إلى المرأة ، فدللتني على كنوز وأخرة .
عارف : ما زلت تقرأ للمستشرقين ؟
واقف : أنا لا أعصر لك أمراً يا شيخ عارف .
فمخالفة الطبيب ، قد تسبب الموت .

لقد قرأت فقه اليمامة للإمام محمد الفرائي ، واستاذ محمد
سميد البوطي ، وحياة محمد . للاستاذ هيكن . وأعجبني
اهتمامه بالمستشرقين والرد عليهم . وأقرأ الآن زاد المماد ،
والروض الأنف .

بقيت عندي مسألة واحدة ، أحب أن أتعف فيها بالحوار
معك . وهي مسألة تعدد زوجات النبي - ﷺ -
بل و تعدد الزوجات ، بمسألة عامة

عارف : الحياة الزوجية عند المرأة تعطل في كل شهر مدة
قد تصل إلى عشرة أيام .

كما تعطل بعد الحمل والولادة ، مدة قد تصل لشهرين .
وطباع الرجال مختلف .

فلو تزوج رجل متعارف جسدياً بامرأة أخرى فله بعض
العذر حتى لا يقع في جريمة زنا .

ولكن هذا السبب لا يعتدنا كثيراً .

فالرجل السوي أنسى من زوجاته .

ولكن تشريعاً كالأسلاء ، يجب أن يأخذ في اعتباره كل

الطباع البشرية حتى يتدمج لسان الناس .

وأيضاة غير الإلزام أو الندب .

* * *

ولكن المهم في الموضوع أن الإحصائيات العالمية تؤكد
زيادة عدد النساء على عدد الرجال .

خصوصاً بعد الحروب الكبيرة التي تأكل الرجال .
فلو تزوج كل رجل بامرأة واحدة لبقى عدد كبير من النساء
بلا زواج .

يعشن طاقات معطلات أو ماسولات جنسياً . فأى الحلين
أكرم المرأة ؟

وائل : بدون شك الحل الثاني لا يرضاه كريم .
عارف : من أجل ذلك أباح الاسلام تعدد الزوجات .

وائل : يعني المشكلة مشكلة طبيعية والاسلام شرع التعدد
ليعالجها .

عارف : ليس الاسلام وحده الذي أباح التعدد .
الديانة اليهودية قد أباحت التعدد بلا قيد .
والديانة النصرانية هي امتداد لشريعة التوراة . لأن المسيح
قال :

« ما جئت لأنقض الناموس ،

وائل: قلت يا فضيلة الشيخ إن التوراة أباحت التعدد بلائيد.
عارف: نعم.

القرآن وحده هو الذي قيد العدد بأربع نساء .
أما التوراة ، فأخبرت بأن سليمان عليه السلام — تزوج
ثلثمائة امرأة بمقد دائم ، وسبعمائة امرأة من الإماء .

« سفر الملوك ١١ — ١ »

وهذا الخبر موجود في الكتاب المقدس — الذي يؤمن به
اليهود والنصارى .

نجيب : « متعجباً ، ألف امرأة ! »

وائل : الأعجب يا نجيب أن هذا الموضوع لا يثيره أحد من
المستشرقين الذين يهاجون سيرة النبي ﷺ ودائماً يركزون على
زواج النبي وحده .

عارف : اليهود — في العالم — يتمسكون في الإقتصاد ،
وأهمزة الإعلام .

وسليمان .. يهمهم يا وائل .

وائل : هذا صحيح .

والكن بقى هندي سؤاله :
لماذا زاد النبي على أربع نساء ؟

نجيب : هذه ميزة كانوا الله بها النبي ﷺ .
عارف : هل لايتزوج تسع نساء أو اهل بيته ومكافأة ؟
سأضرب لك مثالا يا وائل :
أحد أصدقاء له وثمان بالجامعة .

أعطى الأول ألف جنيهه ، وقال له : ليس لك عندي أى
مال بعد ذلك .

وأعطى الثاني عشرة جنيهات ، وقال له : إن أمقتها في
أسبوع نخذ غيرها .

فأى الولدين فضله أبوه في العطاء ؟
نجيب : الثاني طبعاً .

لأن باب العطاء أمامه مفتوح .
عارف : بدون تشبيه ولله المثل الأعلى .
المسلم أن يجمع أربع نساء في عصمته .

فإذا مات واحدة أو طلقها ، ومضت مدة عدتها . فله أن

يتزوج غيرها ، الباب من تزوج نسائه .

إذا كان قادراً عادلاً (١) .

أما النبي ﷺ فقد أجاز أن تقسم نساءه ثم قال له (لا يحمل
لك النساء من بعد ولا أن تنكح من أزواج ولو أعجبك
حسن) (٢)

والأحزاب ٥٢ .

وأما : ولم يكن هل يعتبر زواج النبي ﷺ من التسع نساء
استثناءً من الآية الكريمة . قال تعالى (فإن أحبوا ما طاب لكم
من النساء مثنى وثلاث ورباع) النساء ٣

عارف : تنجز لم يخالف نصاً في آياتها أبداً . لقد نزلت الآية
الفرآنية الكريمة في سددت إلما د بأربع فقط نزلت في السنة
الخامسة من الهجرة ، وكان النبي ﷺ يجمع كل نساءه .

(١) المتزوج من أربعة أو طلق واحدة ممنق فليس له الحق
أن يتزوج غيرها حتى تنتهي عدتها ، أي عدة لزوجته المطلقة
وهذه الحالة تجب العدة فيها على الرجل ، كما تجب على المرأة .
راجع حاشية ابن مدين ج ٣ ص ٥٠٣ .

عجيب : هل تحفظ تاريخ نزول سور القرآن يا فضيلة الشيخ
عارف ؟

عارف : يا عجيب سورة النساء التي حددت للعهد بأربع
نزلت بعد سورة الممتحنة وسورة الممتحنة نزلت والنبي يستعد
لفتح مكة . ومعلوم أن سبب نزولها هو إرسال (حاطب بن
أبي بلتعنة) للمشركين يخبرهم بعزم النبي على فتح مكة .

فالنبي عندما تزوج تسم نساء كان الجمع مباحا لأي عدد .

ولما نزلت آية التحديد بأربع فقط ، كان بعض الصحابة
عنده أكثر من أربعة .

فاحتفظ بأربعة منهن ، وطلق الباقيات .

واتل : لماذا لم يطلق النبي ﷺ الزائدات ؟

عارف : أي امرأة طلقت لها الحق أن تزوج من رجل

آخر .

أما نساء النبي ﷺ فلا يجوز لأي مسلم أن يتزوج منهن .

لأنهن أمهات المؤمنين . قال تعالى : والنبي أولى بالمؤمنين

من أنفسهم . وأزواجه أمهاتهم . الاحزاب .

لذلك حرم الله على المؤمنين أن يتزوجوا نساء النبي بعده .
 قال تعالى : • ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا
 تتذكروا أزواجه من بعده أبداً ، الأحزاب ٥٢
 فلو طلق النبي إحدى نساءه لبقيت بلا زوج •
 من أجل ذلك أحل الله نساء النبي له • قال تعالى : • يا أيها
 النبي إنما أحللتنا لك أزواجك ، الأحزاب •

• • •

وعناك سبب آخر لبقاء نساء النبي عنده •
 وهو أن زواج النبي زواج رسالة •
 تختلف مقاصده عن أي زواج آخر •
 فلو طلق النبي واحدة منهن ، لساعتها الحكمة من الزواج بها
 نجيب : ما هي المقاصد التي تعنيها ؟
 عارف : مقاصد أربعة :

أولاً : إنساني •

ثانياً : سياسي •

ثالثاً : تشريعي •

رابعاً : تعلیمی .

وارجو الخديث في شرحها .

• • •

الكتاب الاول :

سبب انشاء كتاب "تاريخ" في تاريخ اسلامي
الذين دفعوا اورايجهم في تاريخ اسلامي في كتابهم اولاً
وبتأني .

في تاريخ اسلامي في تاريخ اسلامي في تاريخ اسلامي
تقول : وانما في كتاب "تاريخ" في تاريخ اسلامي في تاريخ اسلامي
مع زوجات النبي في تاريخ اسلامي .

والكتاب الثاني : في تاريخ اسلامي في تاريخ اسلامي
تاريخ اسلامي في تاريخ اسلامي في تاريخ اسلامي
وارجو الخديث في تاريخ اسلامي في تاريخ اسلامي
زوجات النبي في تاريخ اسلامي في تاريخ اسلامي
عنان غافق ، في تاريخ اسلامي في تاريخ اسلامي .

• • •

السبب الثالث :

سبب تشريعي . أراد الله به أن يكون النبي هو أول من يطبق الأمور الخرجية من الشريعة على نفسه أولاً . فعندما ألقى الإسلام نظام النبي أراد الله أن يحو كل الآثار التي كانت تترتب عليه . وأهم هذه الآثار أن العرب كانت تحرم على الرجل أن يتزوج من مطلق متبناء ، فأمر الله نبيه أن يتزوج من السيدة زينب بنت جحش - بعد أن طلقها زوجها - زيد بن حارثة - الذي كان النبي تبناه قبل النبوة - وهو أصعب زواج على النبي ﷺ لما أثاره من كلام المنافقين .

ولكن الله هو الذي ووجه . قل تعالى :

« فلما قضى زيد منها وطراً زوجنا بها ، لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعياتهم إذا فوضوا منها من وطراً وكان أمر الله مفعولاً » ١٢٧ الأحزاب

• • •

السبب الرابع :

هو أن زوجات النبي ﷺ كن مدرسات في جامعة النبي

وَأَخَذْنَاهُ مِنْهُ مَا يَتَّبِقُ بِالْمُرَافَةِ مِنْ أَحْكَامٍ شَرْعِيَّةٍ ، وَيُعَلِّمُ
 نِسَاءَ الْمُسْلِمِينَ . وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ أَنْ يَلْزَمْنَ بَيْتَ
 النَّبِيِّ لِيَتَعَلَّمْنَ مِنْهُ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُعَلِّمْنَ النَّاسَ . قَالَ تَعَالَى
 « وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ »

٢٣ الأحزاب

* * *

مَشِيئَةُ اللَّهِ .

وَقَدْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ لَا يَشْغُلَ نِسَاءَ النَّبِيِّ بِالْحُلِّ وَالْوِلَادَةِ وَتَرْبِيَةِ
 الْأَطْفَالِ ، حَتَّى لَا يَنْشَغِلْنَ عَنْ رِسَالَةِ — فَقَدْ كَانَ نِسَاءُ النَّبِيِّ
 صَالِحَاتٍ لِلْحَمَلِ . وَبَعْضُهُنَّ أَنْجَبَتْ أَطْفَالَ قَبْلِ الزَّوْجِ مِنَ النَّبِيِّ
 وَالنَّبِيُّ كَانَ صَالِحًا لِلْإِنْجَابِ ، وَقَدْ أَنْجَبَ بِالْفِعْلِ قَبْلَ الزَّوْجِ مِنْهُنَّ
 لَقَدْ أَنْجَبَ مِنَ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ ، وَزَوْجَهُ اللَّهُ بِإِبْرَاهِيمَ مِنَ السَّيِّدَةِ
 مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةِ .

فَإِذَا مَرَّ بِهَذَا حُلُّ نِسَائِهِ مِنْهُ — عَزَّ وَجَلَّ — ؟ لِأَنَّهُ زَوَّجَ
 رِسَالَةَ يَا نَجِيبَ .

نَجِيبَ : الْآنَ عَرَفْتَ حِكْمَةَ اللَّهِ الْعَالِمَةَ مِنْ زَوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ

لا تعرف الزنا .

فوق ما ذكره من أن نعيم ما جاب أمه . فليدرك ذلك . ولكن الله
أراد أن يبين أن الزنا . ليس هو ما يظن . بل هو ما لا يرضى
الإله . إن والكشف معدنه .

...

كذلك الزوج .
الذي
والعشرين ، إلى الثالث والخ

وكا

... .

وتو

ومع ذلك لم يتزوج علي ولم يكن
هناك
فلا
والله

المرحلة الثالثة :

مرحلة الجهاد المندس .

من الثالث والخمسين إلى الواحد والستين . هي مرحلة الجهاد والتعب .

وهي المرحلة الوحيدة التي عدد للنبي فيها الأزواج . مع كثرة انشغاله وجهاده .

• • •

المرحلة الرابعة :

من الواحد والستين إلى أن نبي بازريق الأهل . وهي مرحلة النصر والوفود والمعاهدات .

لقد تم فتح مكة وسقطت دولة الأصنام إلى الأبد . وبدأت ثمار المعارك تدور قتلوفها .

وأوشك النبي أن يستريح بعض الشيء .

ولكن هذه المرحلة حرم الله فيها على النبي الزواج . لأن الزواج قد أدى رسالته .

قال تعالى :

ولا يحل لك النساء من بعد ، ولا أن تبدل بهن من أزواج
ولو أعجبك حسنهن ، الأحزاب ٥٢

نجيب : سبحان الله .. ١١

المرحلة ثلاث ينشغل فيها الإنسان عن أهله ، هي وحدها
مرحلة تمتد الزوجات . ١٢

لقد أيقنت أنه زواج رسالة .
ألف القلوب وجمع الأمة .

• • •

وائل : ليت فضيلة الشيخ يتحدثنا عن بيت النبي ، الذي جمع
تسع نساء .

حارف : إن شاء الله - بعد تناول الطعام .
يجلس الجميع على الطعام يتحاذون أطراف الكلام .
وتدور الذكريات بما فيه اللحظات .
فلنتترك الجماعة ساعة أو بعض ساعة .
وائل : بالله عليك يا شيخ حارف .

هل كان النبي في مثل هذا النعيم ؟

الشيعة : هم يأتون ويقولون : نعمت السيدة عائشة - رضي الله عنها - أن بيت النبي كان يتخذ "شهر" ولله شهر ولا يوجد في البيت نار على طعام . نعمت السيدة عائشة في جميع علم ، نجيب : على أي شيء يعيشون ؟

عارف : على الماء والخمر .

وقد روت السيدة عائشة - رضي الله عنها - أن الحسين بن علي ، وعبد الله بن عباس ، وبيات الله بن عباس رضي الله عنهم - طهروا منها أن تصنع لهم طعاماً ، كان النبي يحب .

فما لم : . . . إن لا تشبهوا يوم .
قامت وطحنتم شحمين ، وحبات منه تبرز ، وتمسح لهم
الزيت فوقه . ثم وضعت لها . . . و . . . وقالت : كان
النبي يحب هذا الطعام . . . رواه الطبري ،
يا أبنائي :

لقد كان النبي ﷺ ينام على حمير يرفرف على جنبه الشريف

فلما رآه عمر بن الخطاب بكى .

وقال : لأن كبره ، وقصر إنعامه على الخير .

فقال النبي الكريم :

هؤلاء أقوام يحزن الله لهم الدنيا .

• حياة الصداقة ج ٢ ص ٧٠٠ •

وكان النبي يبسط رداءه للضيف ، ويبش في وجهه .

فريب ما كن شيء في حياة النبي يترك صدقه .

عارف : لم بدأ النبي دعوته ، وهو زوج لأغنى امرأة في

قريش .

فبذل ما كان يملك في دعوته .

ولم يشرع الإسلام الزكاة ، والصدقة . ومما منه — دران
واسمان لأثروة .

نرى النبي وشيئاً رَمَ أموال الزكاة والصدقة عليه وعلى
آل بيته .

روى البخاري عن أبي هريرة — رضي الله عنه — أن
الحسين بن علي — رضي الله عنهما — أخذ تمر من تمر الصدقة

وهو طفل - لجملم في فيه - فقال النبي ﷺ له : (كخ كخ)
ليطرحها . ثم قال : : إنا آل محمد لا تحمل لنا الصدقة . .

وعن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ وجد
تمرة فقال : لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها .
و متفق عليه ، (١)

نحيب : عليك السلام يا رسول الله .
جعلت غرم الإسلام وتكاليف دعوته عليك وعلى آل
بيتك .

وجعلت غنم الإسلام لامتك .

عارف : صدقت وأوجزت يا نحيب .
لقد فتح الله كنوز الأرض للنبي ﷺ وجاءته الغنائم من
كل مكان .

ومع ذلك أصر النبي على عيشة الكفاف .

(١) كتب الدكتور يوسف القرضاوي بحثاً وافياً في هذا
الموضوع في كتابه : فقه الزكاة ، ج ٢ ص ٧٢٨

مع أنه رئيس دولة وقائد أمة .

ودينه لا يحرم على الناس متاع الحياة لأشريف .

لقد تحدث القرآن عن هذه الفضيلة بجملاء .

فمنذ ما رأى نساؤه أن كل بيوت المسلمين قد وسع الله عليها
وأصبحت ذات معظم شهى وملبس كريم .

إشتاقت نفوسهن إلى حظهن من المتاع .

وكان مطالبهم عادلا .

ومن طبع النبي ﷺ أن يحترم بشرية الإنسان .

ومع ذلك وقف النبي من طلب نساؤه موقفاً شديداً .

واهتزل النبي نساؤه شهراً كاملاً .

ونزل القرآن يؤيد حزم النبي .

وخير نساء النبي بين البقاء في بيت النبي على حالهن وبين

الطلاق . قال تعالى :

يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا
وزيبتها فتعالين أمتكمن وأسرحنكم مراعاً جهيلاً . وإن كنتن
تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم

أجرًا عظيماً ، الأحزاب ٢٩

وَأَتْلُ : وَمَاذَا لِيخْتَارَ نِسَاءَ النَّبِيِّ ؟

عَارِفٌ : جِيءَ مِنْ لِحْثَتَيْنِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ .

نَضِيبٌ : لَئِنْ بَعَثَ نِسَاءَ النَّبِيِّ كُنَّ بَنَاتُ مُلُوكٍ وَأَمْرَاءٍ وَكُنَّ يَمْعَنُ فِي دَلَالٍ فِي بِلَادِهِمْ أَكْبَرُ .

وَلَكِنْ شَرَفَ جُورًا مِنْ لَتَائِمِهِ أَكْثَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ الْحَيَاةِ .

عَارِفٌ : لَمْ يَكُنْ نِسَاءَ النَّبِيِّ مَحْجُوزِينَ فِي هَذَا الْوَضْعِ مِنَ الْعَيْشِ .

لَقَدْ اِمْتَدَّ إِلَى بَيْتِ الصِّيَاةِ قُطْعَةُ الزَّهْرَاءِ أَيْضًا .

لَقَدْ أَدَارَتْ الرُّوحُ يَدَيْهَا لَطْعَانَ السَّعِيرِ ، حَتَّى أَثَرَتْ الرُّوحُ عَلَى يَدَيْهَا .

وَعِنْدَمَا سَأَلَتِ النَّبِيَّ خَادِمًا يَسَاعِدُهَا . قَالَ لَهَا : لَا أُعْطِيكَ وَأَدْعُ فَقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ .

ثُمَّ خَبَّهَا النَّبِيُّ إِلَى صَدْرِهِ عِنْدَمَا رَأَاهَا تَدْمَعُ ، وَقَالَ لَهَا : أَلَا أَدْلُكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ ؟

سَبَّحَنِي اللَّهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ .

واحدى اة ثلاثا وثلاثين .

وكبرى الله اربعة وثلاثين .

فبقية مائة - يربا من ثديها ما فيها .

والى : من يربا من النفس والنعمة يربا لها ويلا حياة
نساءه بالتعرف - ثم يربا من ذلك حلا من ذلك وضرة ر ويحبهم .
والسك دمة اللهى عظيم واحد من لرواج اكبر .

والى كتنى أسأل :

هل كان نساء النسي يربا تحث بينا ما يحدث بين النساء
من المعيرة ؟

عارف : تدين نساء نسي على تقرب من قلبه ، والتسابق
على العون برضاؤه أو بر مشرعه .

لور محاربة التقرب من نسا زوج - فمن - ولا كتنساب
مردية عمل عظيم ، و ر السبب فيها - فمن من غيرة ولكن
النبي كان يمالج هذه الامم ر يحكمه بالنية .

إن قيادة الجيوش العسكرية أهون من قيادة تسع ضرائر
يقتافسن على رجل عظيم .

لقد كان فيهن اللوجة المجوز ، والشابة الفتية .
كان فيهن الأرملة الفقيرة ، ومنهن بنات الملوك .
ومع ذلك كان عدل النبي يشهر كل زوجة بأنها أقربهن إلى
قلب النبي ﷺ .

كان يعدل بينهن في العطاء ، وفي المبيت حتى في الابتسامة .
فلم تشهر الزوجة الفقيرة بأنه يكرم الأخرى لأنها بنت أمير
أرملك .

ولم تشهر بنات الأمراء والعظماء أنه يفضلهن على الأراذل
الفقيرات .

حتى ميل القلب — الذي لا دخل للإنسان فيه . . . كان
النبي يعتزقه عنه محاسنه لنفسه عليه .

لقد كانت هيبة النبي كبيرة في قلوب أصحابه .
حتى كان بعض الصحابة : لا يتقوى على النظر للنبي من فرط
هيبته . وقد قال البصري :

حسبنا أنه وهو فرد من جلالاته

في عسكر حين تالفاء وفي حشم

لذلك كان النبي يحاول أن يجعل من نفسه الزوج محمد ولا يجعل
نفسه في البيت الزوج النبي .

وذلك حتى تأخذ نساؤه حقهن .

فكان يسمح لمن بالمزاح والمداخلة فيما بينهم وهو يتسم .

تروى السيدة عائشة — رضي الله عنها — أنها أتت النبي

بجريدة فيها طعام قد طبختها له ، وطابت من السيدة سودة

بنت زمعة أن تأكل منها . فلما امتنعت قالت عائشة : إما أن

تأكلى وإما أن ألتخ وجهك بالطعام .

فلما أصرت سودة على عدم الطعام طلت عائشة وجهه سودة

بالطعام .

فضحك النبي — ثم أخذ قطعة من الطعام وقال لسودة :

الطعمى وجهها . وضحك النبي .

فلما سمعن صوت عمر قال النبي لها : اغسلا وجهيكما .

قالت عائشة : فارتأت أهاب عمر طيبة النبي له .

رواه ابن عساکر ،

بمثل هذا الأسلوب استطاع النبي أن يجمع قلوبهم .

وكان رأي المتطلبات من كل واحدة منهم .
وظروفها النفسية .

يسابقا فيسبقهما . خيل لما : هذه بئلك . (رواه أحمد)

تدخل و ساجدة ، و
و طالب من الشيخ طاهر
ويجيب الشيخ طاهر ،

وائل : د یېتمه سر ټول ، د ماشوم د نړۍ د تېلې د دورې د ام
شام .

[illegible]

ودخل اثنينى الى ام حلة - زوجته - وقال لها :
ملك الناصى ...

أمرتهم فلم يفعلوا .

قالت : أخرجه من دارك يا أم سليم ، وأمرتني أن يقاتلوا .
شجع الله المؤمنين .

فخرجوا من دارهم .
دارهم : دارهم في مكة .
عطاء الإسلام للمرأة .

الإسلام : الإسلام .
مخرجهم من دارهم .

مخرجهم من دارهم : مخرجهم من دارهم .

حملة الإسلام : حملة الإسلام .

وكبار النبي : وكبار النبي .

من أم سليم : من أم سليم .

يا رسول الله : يا رسول الله .

هل لي أن أكون من حملة الإسلام ؟

قال : نعم . إذا رأيت الماء .

من أم سليم : من أم سليم .

قالت : رويته النبي . فسمعت . رقت : ألتزم المرأة .

فقال النبي : نعم .

وعندهما اقترحوا امرأة على النبي أن يتخذ مذبراً . وافق
النبي على ذلك . فتح الباري ج ١ ص ٤٤٩

وقد جعل النبي المسجد ميلاً لتعليم النساء .
لذلك ... نهى النبي الأمة عن منع النساء من المساجد .
قال — ﷺ — لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن
تفلات ، « رواه أبو داود »

نجيب : ما معنى تفلات ؟

عارف : أي غير متبرجات بريئة .

ساجدة : لقد تم استعدادا للخروج .

تخرج الأسرة في محبة وهناء ،

ومودة وصفاء .

الفصل الثالث

- قاتلوا أئمة الكفر .
- الإحصائيات أصدق .
- أين ذهب المفلول .
- انتشار الإسلام من آخر .

مع جمال الرب ، وهراته القاطيف جلس الشباب الكرام ،
ينعمون بحلو الكلام . ويطلبون من الشيخ إطالة المقام .
فإلى بستان نجيب في حياء ، يجمعنا الحب والوفاء .

وائل : عرفنا في لفاتنا السابق عظمة النبی في بيته .
فهل يمكن يا فضيلة الشيخ أن تناقش مشروعية القتال في
الإسلام ؟

الشيخ : « ميتسا » ماذا تعنى يا وائل ؟
وائل : والله يا فضيلة الشيخ لأننى الآن أقوم بالله إيماناً
بلا حدود .

وأؤمن بنبو محمد — ﷺ — وعن يمين .
وطهر الله قلبى من كل سوء قرأته للمستشرقين .
لكننى أطلب المزيد من الحق .
الشيخ : أنت تعرف يا وائل أن النبى ﷺ جاهد كثيراً
الحجة والبرهان ، ليوقظ العقل البشرى .

وكان يهدف بذلك إلى تحرير الإنسان من عبودية غير الله .
ولكن زعماء الشرك أفزعهم الأمر ، وخافوا على مناصبهم

ومصالحهم . فرفقوا السيف في وجه النبي ، وحذبوا أبنائه ،
والجأؤهم إلى الهجرة ، وصادروا ديارهم وأموالهم .

ويرمها . . . لم يكن في استماعه النبي - ﷺ - سوى أن
يواسي أصحابه ويطأ بهم بالعبر ويبشرهم بالفرج .

هاجر النبي . . . وهاجر أصحابه . . . ووجدوا في المدينة تربة
خصبة وقلوباً صالية .

وانتشر الاسلام ..

وعلى كلمة الله . . .

ويرمها أذن الله للمستضعفين أن يقتصروا .

قال تعالى : أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . . . وإن الله على
نصرهم لقدير .

الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا :
ربنا الله . . . والجح

فالأية الكريمة وضحت سببين لغرض القتال .

السبب الأول :

أن المسلمين مقاتلون من جهة أعدائهم طوال مدة إقامتهم بمكة .

ثانياً : أنهم ظالموا :

ومن حق المظلوم أن يدافع عن نفسه وينتصر لها .
ومن شيم أصحاب النفوس الكريمة رفعتهم عن الاستكانة
والهذلة .

قال تعالى في وصف المؤمنين :

والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ..
وجزاء سيئة سيئة مثلاما .. فمن عفا وأصلح فأجره على الله .
لأنه لا يحب الظالمين .

ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من شيء . إنما
يسئيل على الذين يظلمون الناس ويبخون في الأرض بغير الحق ،
٣٩ إلى ٤٣ الشورى

فانتصار المظلوم لنفسه واجب وكرامة .

نجيب : والآية تشير أيضاً إلى العفو ، فمن عفا وأصلح
فأجره على الله .

الشيخ : العفو الذي تعنيه الآية هو عفو المنتصر الراغب
في الإصلاح ، وليس عفو المعتصم المستكين .

والإلتصاف بالنفس والعفو عند المقدرة أمران لا يستطيع
المستضعف من الناس .

وعندما انتصر النبي على أهل مكة عفا عنهم عفو القادر
وقد طالب القرآن من المسلمين أن يقاوموا من أجل نصرة جماع
من المسلمين يعيشون في مكة - تحت ظل سيف الشرك -

قال تعالى : وما لكم لا تقاومون في سبيل الله والمستضعفين
من الرجال و نساء والولدان - الذين يقولون ربنا أخرجنا من
هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك ولياً ، واجعل لنا
من لدنك نصيراً ، ٧٥ النساء

إنهم لا يملكون إلا الدعاء .

فعلى الأمة أن تقاوم من أجل حمايتهم .

فالمقاتلة هنا دفاع عن النفس . دعوى الله أن يكف بأس
الذين كفروا ، ٨٤ النساء

وكف بأس الكافرين هو الغاية من المقاتلة .

• • •

السبب الثاني :

هو الدفاع عن الدعوة الإسلامية وحمايتها .
وهو سبب دائم في كل عصر . لشوام كيد أعداء الإسلام له
وانقد طلب الإسلام - يا رائل - من المسلمين أن يقاتلوا
أئمة الكفر - الذين ينتفعون - مادياً أو اجتماعياً - من الكفر .
قال تعالى : « وإن تكونوا أيمانهم من بعد عهدهم . وطعنوا
في دينكم » فقاتلوا أئمة الكفر لأنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ،
١٧ الثوبة

وقتل أئمة الكفر بهدف إلى تحطيم الحواجز التي وضعوها
أمام دعاة الحق .

فإذا تحطمت الحواجز ، ودخل الدعاة إلى الحق بلاد الكفر
والتحموا بالجهال ، فإن الجبال بعد ذلك للعدلى فقط .

• • •

وقد دات تجربة الهدنة - التى نص عليها صلح الحديبية بين
مدينة ومكة - أن الإسلام دين دعوة واقتناع .
لقد توقف القتال عامين فقط بسبب الصلح .

وحل خلالها جيش الدولة والإقناع مكان جيش الدفاع والرد.
فكانت النتيجة أن تضاعف عدد المسلمين خمس مرات في عام
— عن العدد الذي دخل الإسلام في تسعة عشر عاماً —
ظل السهوف —

نيجيب : نرجو توضيح هذه المسألة يا شيخ عارف .
الشيخ : لو استعملنا لغة الأرقام يتضح الأمر .
المدة من بدء الدعوة الإسلامية إلى أن تم صلح الحديبية
هي تسعة عشر عاماً .

ومع ذلك كان عدد المسلمين — الذين خرجوا مع النبي —
للعمره — يوم صلح الحديبية — حوالي ألفين فقط .
بدأت الهدنة واستمرت عامين ، ثم نقصت قرىش المعاملة
فقام النبي - ﷺ - بفتح مكة .
وكان معه عشرة آلاف مقاتل .

معنى ذلك أن عدد المسلمين قد تضاعف خمس مرات
عامين . نتيجة لتوقف الحروب وعمل الهدنة .
نيجيب : هذه المعادلة الحسابية تكفي وحدها لدفع شبهة
المستشرقين .

وائل : فلماذا انتشر الإسلام بالسيف .
الشيخ : أعجبني - يا وائل - قوله المرحوم عباس محمود
لقاد :

« لقد انتصر الإسلام على السيف ولم ينتصر بالسيف » .
شيء : ما الفرق بين انتصر بالسيف . . أو انتصر على
السيف ؟

الوالد : لا يا شيء . .

الفارق كبير . . فمعنى العبارة : أن الإسلام انتصر على
السيوف التي رفعت في وجهه وحطمها .

لأن المبركين رءوسهم سيوفهم ثلاثة عشر عاماً في وجهه
بإسلام قبل أن يشرع لقتال .

وأنت يا وائل وقعت في خطأ وقع فيه كثير من الدارسين
لإسلام .

وائل : ما هو يا شيخ عارف ؟

الشيخ : يخلط كثير من الناس بين الفتوحات الإسلامية وبين
انتشار الإسلام .

مع أن الفارق كبير.

الفتوحات الإسلامية مسألة عسكرية .

سيف أمام سيف .

نستهدف تحطيم الحواجز ، وفتح الباب أمام الدعاة .

أما إنتشار الإسلام فمسألة عقلية قلبية .

إذا نجح الجيش الإسلامي في تحطيم الحواجز فقد فتحت البلد
للمسلمين .

فيدخل الدعاة ، والتجار فيلبس أصحاب البلاد أنفسهم
ملاح دين جديد .

جديده في منهجه وسلوكه .

جديد في كفالاته حرية أصحاب البلاد .

جديد في تكافله الإجتماعي ، وإحترام الفقير .

حرم الربا ، وصوى بين الناس ، بل أعطى الأقليات الدينية
التي تعيش في وهابته من الحقوق أكثر مما أعطى المسلمين .
وائل : اعتقد أنك تقصد : مثل ما أعطى للمسلمين .

الشيخ : لا يا وائل .

لقد قرأت لأحد المستشرقين هذه الشهادة .

واستدل عليها باستدلال قوى .

فقال : إن الإسلام حرم على المسلمين ملكية الخمر والخنزير
كما أباح لأهل الكتاب ملكية الخمر والخنزير .

فقد أعطاهم حق ملكية الخمر والخنزير بينما حرمهما على
المسلمين . فمن قتل خنزيراً لنصران ، وجب عليه التعويض
لأهل .

ومن سبك خمرأ ، أو قتل خنزيراً لمسلم لا يجب عليه
تعويض .

لقد رأى أصحاب البلاد أنفسهم أمام هذه الآية الإسلامية
الصحيحة وسماحته .

وقد تزوج المسلمون من نساء أصحاب البلاد - الكتابيات -
يرغمهم على ترك دينهن ، بل كفّلوا عن حرية العقيدة ،
العبادة ، وراعوا حقوق النساء - مع اختلاف الدين -
بحري موهن ودأهل من غير المسلمين .

وانزل : إن سلوك المسلمين للعمل أغناهم عن الخطب الطويلة

والقصائد الرائعة لأن دلالة الفعل أقوى بكثير من دلالة
السلطات .

الشيخ : لقد إنتشر الإسلام — يا وائل — في كثير من
البلاد التي لم يفتحها جيش المسلمين .

يقول الأستاذ سامي محمود في كتاب إنتشار الإسلام

ص ٨١ :

وقد نجح المسلمون في أوروبا في الدعوة إلى الإسلام وانتشر
عدد من مفسري الإسلام في دول مختلفة من أوروبا وكانت
دعوتهم تأتي عن طريق الفكر والمنطق والمجاهلات العلمية .

وقد نجح عدد من جنود الإسلام المجهولين في الدعوة
للإسلام . . . وكانوا هم أنفسهم القدوة الحسنة للإسلام .
كما إنتقلت ملامح الإسلام إلى أوروبا عن طريق الأفراد
والجماعات الذين عاشوا في أسبانيا تحت ظل الحكم الإسلامي .

ويقول سيادته أيضاً

والمسلمون في بلجيكا من أقوى العناصر وأشد هم إيماناً وعملاً
على حماية المسلمين المغتربين في أوروبا .

يا وائل : . . لقد انتشر الاسلام عن طريق التجار
المصادقين ، وانتشر عن طريق حفاظة المسلمين مع غيرهم من
أهل البلاد .

بينما فتحت بعض البلاد عسكرياً ، وحكمها المسلمون قروناً
طويلة ، وخرجوا منها وبقي أهلها على دينهم .

لم يرغمهم المسلمون على ترك دينهم .

فتلاً . . بلاد الأندلس ، فتحها المسلمون ، وبقيت تحت
حكم المسلمين قرابة ثمانمائة سنة ، وخرج المسلمون منها ، وبقي
أهلها على النصرانية .

فبلاد انتشر فيها الإسلام ولم تفتح عسكرياً .

وبلاد فتحت عسكرياً ولم ينتشر فيها الإسلام (١)

(١) يقول دوزي ، عن آثار فتح المسلمين للأندلس : كان
الفتح العربي من بعض الوجوه نعمة على إسبانيا ، فقد أحدث
فيها ثورة اجتماعية هامة ، وقضى على كثير مما كانت البلاد تعانيه
منذ قرون ، وتحطمت سلالة الأشراف ، والقبائل الممطرة ،

ثم كان الفتح عاملاً في تحسين أحوال العائقة المستعبدة ، إذ كان
الاسلام أكثر تفضيلاً لتحرير الرقيق من النصراني .

ويقول الأستاذ (لاين بول) :

« أنشأ العرب حكومة قرطبة التي كانت أعجوبة العصور
الوسطى ، بينما كانت أوروبا تتخبط في ظلمات الجهل ، فلم يكن
سوى المسلمين من أقام بها منائر العلم والمدنية »

اما المؤرخ الأمريكي « سكوت » فيقول :

« وكان يسمع للورع المنتصب أن يزاول شعائره دون تدخل
والأخبار يزاولون شئونهم في سلام . أما أقوال كتاب النصراني
التي ينسبون فيها للعرب أذلال المثالب ، فهي محض افتراء ومبالغة .
راجع « دولة الاسلام في الأندلس » للأستاذ محمد عثمان ،
صفحة ٦٣ وما بعدها .

وهذا يؤكد أن للفتح الاسلامى شىء ،
وانتشار الإسلام شىء آخر .

وقد ذكر صاحب قصة الحضارة ، ج ١٤ ص ٢٦٣ :
بعض العوامل التى ساعدت على انتشار الاسلام فى البلاد
التي فتحها .

يقول المؤلف عن سماحة الاسلام مع رجال الدين المسيحي
وأتباعهم :

« إن البطارقة ظلوا على كراسيهم بأنطاكية وبيت المقدس
والاسكندرية ، وذلك بفضل سماحة المسلمين .
ويقول : غير أن المسلمين كانوا أكل من المسيحيين —
أصحاب البلاد .

فقد كان المسلمون أحفظ هداً وأكثر رحمة بالمغلوبين ،
وقلما ارتكبوا - فى تاريخهم - من الوحشية ما ارتكبه المسيحيون
عندما استولوا على بيت المقدس عام ٩٠٠ - ١١ ميلاديه (١)

(١) قصة الحضارة ج ٣ ص ٢٨٠

أما عن نظام القضاء الاسلامي في البلاد المفتوحة فيقول :
وقد ظل القانون المسيحي يستخدم طريقة « التحكيم الإلهي »
بالنار أو بالماء ،

بينما كانت الشريعة الاسلامية تضع طائفة من المبادئ القانونية
الراقية ، يقوم بتطبيقها قضاة مستقرون من المسلمين (١)

واتل : ما معنى طريقة التحكيم الإلهي ؟

للشيخ : كانوا يلقون المتهم - مكتوفاً - في الماء أو في النار
فيذا غرق أو احترق قالوا إنه ظالم .
وإذا نجح .. قالوا : إنه مظلوم .

ولكن الاسلام - عندما فتح هذه البلاد - حكم القواعد
القانونية الثابتة (٢) العادلة في الحكم بين الناس .

وقصة الحضارة الأستاذ ول ديورانت ص ٢٨٣ ج ١٣ ،

(١) المرجع السابق ج ١٣ ص ٢٨٣ .

(٢) ملامح القضاء الاسلامي :

١ - نصب القضاة وجعلهم سلطة مستقلة عن الحاكم العام =

٢ - أنشأ - بجوار القضاء - ولاية دفع المظالم - و عمر
وأصول السياسة ص ٣٤٦

٣ - جعل القضاء سلطة فوق الأمراء - يراقبهم ويحكمون
لأية - بل حتى الخليفة إذا تحققت القضية ضده فن سلطة
القضاء أن يحكم عليه . و الدولة القانونية الأستاذ الدكتور منير
البياتي ص ٤٠٤

٤ - وضع دستوراً للقضاء . و يعتبر رسالة عمر بن الخطاب إلى
أبي موسى الأشعري هي دستور القضاء الاسلامي و ابن خلدون في
المقدمة ص ٢٢٥

٥ - نظم الاسلام جهازاً قضائياً لمراقبة القضاء نفسه - لجعل
من حق هذه السلطة أن تنقض أحكام القضاة إذا جاءت مخالفة
للكتاب والسنة والقضاء في الاسلام للدكتور سلام مذكور ص ٢٢
وقد ذكر الأستاذ الدكتور منير البياتي ضمانات نزاهة القضاء
الاسلامي في كتابه ص ٢١٤ وحصرها في نقاط ، أوجزها لك .
استقلال القضاء وأسس اختيار القاضى والفواعل القانونية
الناطقة وحماية القاضى من المزول - إلا لسبب شرعى .
و الدولة القانونية للدكتور منير البياتي ،

نجيب : الآن عرفنا الفارق بين الفتوحات الاسلامية وبين انتشار الاسلام .

وعرفنا العوامل التي ساعدت على سرعة انتشار الاسلام ، سواء منها ما يتعلق بالدعوة الاسلامية ، وما يتعلق بأخلاق المسلمين .

الشيخ : يا نجيب : إن شيئاً واحداً يمكن ان نرد به على المستشرقين .

نجيب : ما هو يا فضيلة الشيخ ؟

نعرف أن مكة حاربت الاسلام .

أما المدينة فقد فتحت أبوابها أمامه .

فهل يمكن أن يقال : إن الاسلام انتشر بالسيف هل أهل المدينة ؟

نجيب : لا لقد ساروا إلى الدعوة بمجرد أن أدركوا عظمتها .

ولكن . . لماذا شاء الله - سبحانه - أن يجعل من

أهل مكة من معادى الاسلام ، وهم أقرب الناس للنبي وعزه
يرفع ذكرهم ؟

الشيخ : يا نجيب استمعت إلى تعليل لطيف للشيخ محمد
متولى الشواوي قال فيه :

« لو كان أهل مكة هم أضرع الناس إيماناً ... لقال خصوم
الاسلام : إن العصية لمحمد - ﷺ - هي التي خلقت
الايمان بمحمد .

ولكن علماء أهل مكة له ، ومناصرة أهل المدينة جعلت
الكل يقول : إن الايمان بمحمد - ﷺ - هو الذي خلق العصية
لمحمد - ﷺ -

نجيب : الله - الله - الله .

هذا كلام عظيم ...

وائل : يا فضيلة الشيخ .

نجيب : انتظر يا وائل ... فنحن في البستان . . فلا بد
أن نأكل الفاكهة أولاً . . ثم استمتع بحديث الشيخ .
الشيخ : وددت لو أعددت لنا الشاي على الفهم ، فإنه

أطيب ، واسكن . . أين هشام ؟

نجيب : هشام يجلس على النهر يصطاد بعض السمك .

وجلس الجميع يأكلون الفواكه هائنين
في بهجة وفرح وسرور ومرح وعاد الشيخ
إلى الشباب في سؤال وجواب .

الشيخ : يا وائل : أي قوة في الأرض الآن تفرض على
المسلمين أن يتسكروا بدينهم ؟

وائل : لا شيء سوى حب المسلمين الاسلام .

الشيخ : الأعجب من هذا :

أن الصليبيين الذين أشاروا على بلاد الاسلام اعتنق بعضهم
الاسلام ، وبعضهم انسحب من المعركة ، بعد أن اقتنع بمقام
الدوافع التي جاء يحارب من أجلها .

وقد تمت ملاح الاسلام في نفوسهم فنقلوها إلى بلادهم ،
فظهرت فكرة « الإصلاح الديني » على يد « مارتين لوتر » في
أوربا . (١)

(١) انتشار الاسلام للأستاذ سامي محمود

حضر هدام يحمل مجموعة من السمك بينما استقبله
والله بابتسامة وطلب إشعال النار ليطهى السمك ،
وتناول الطعام .

الشيخ : هل درست يا وائل غزو وفتح بلاد الاسلام ؟
وائل : لقد دروا الحضارة وخربوا كل شيء ، وأحرقوا
الكتب ، وأسقطوا الخلافة في بغداد .

الشيخ : يؤيدك في هذا ما قاله صاحب كتاب « قصة
الحضارة فقد قال :

ولسنا نعرف أن حضارة من الحضارات - في التاريخ كله -
عانت من التدمير الفجائي ما عانت الحضارة الاسلاميه على يد
المغول . « قصة الحضارة ج ١٢ ص ٧٨٠ »

ومع ذلك فإن الاسلام كان أقوى منهم .
كان أقوى منهم عندما هزمهم عسكرياً في موقعة « عين
جالوت » .

وكان أقوى منهم عندما صلبهم بصفته ، وهداهم إلى اتباعه
واعتناق عقيدته .

وائل : « متعجباً ، المغول دخلوا الاسلام ١٤

الشيخ : يا وائل ما كتبته الأستاذ سامي محمود :

« لقد استطاع المغول — الذين دخلوا الاسلام — أن يجبروا أمراء روسيا على أن يدفعوا الجزية لهم ، ويقسموا بين الطاعة للمسلمين .

واستطاع « قيصر لك » فيما بعد أن يوطد دعائم الحكم الإسلامي في جنوب روسيا ، وآسيا الوسطى ، وحوض بحر القزوين .

وأصبحت سمرقند (في القرن الخامس عشر ميلاديا) عاصمة لامبراطورية إسلامية ضخمة .
« انتشار الاسلام — محمود سامي ،

يا وائل . . كان الإسلام أقوى من كل شيء حتى من المغول — الذين لا يعرف العالم شراً منهم — لقد صهرهم الاسلام .

وجعلهم جنوداً لخدمته .

وائل : لقد عاجلت بحديثك كل شيء في قلبي .

ولا أنسى لك أنك أرشدتني إلى الله .

وأثبت براءة أمي عن التي عشت حياتي أحقد عليها (١) .

فإلى اللقاء إن كان في العمر بقية .

صافح وانزل الشيخ، والدمع
يلا عينيه بينما استعد الشيخ
لمغادرة الريف، سردها شباب
القرية .

• • •

(١) القصة بتمامها في كتاب « هذه عقيستك يا ولدي » ،
« اللقاء الأخير » .

أهم المراجع

القرآن الكريم

تفسير الفخر الرازي ، والقرطبي ، وابن كثير .

عمدة القاري لفرح صحيح البخاري (المعين) .

حاشية ابن عابدين ، طبقات ابن سعد ، أسد الغابة في معرفة

الصحابة .

حياة الصحابة ، المعارف لابن قتيبة ، نهاية الأرب في فنون

الادب .

كتب حديثة :

فقه السيرة للأستاذ محمد الفزالي .

حقائق الإسلام وأباطيل خصومه . للمقاد .

الدولة للقانونية الدكتور منير البيان .

إلى اللقاء مع الشيخ عارف

في الجزء الثاني من كتاب

هذا نبيك يا وادي